الطبعة العربية الأصليّة

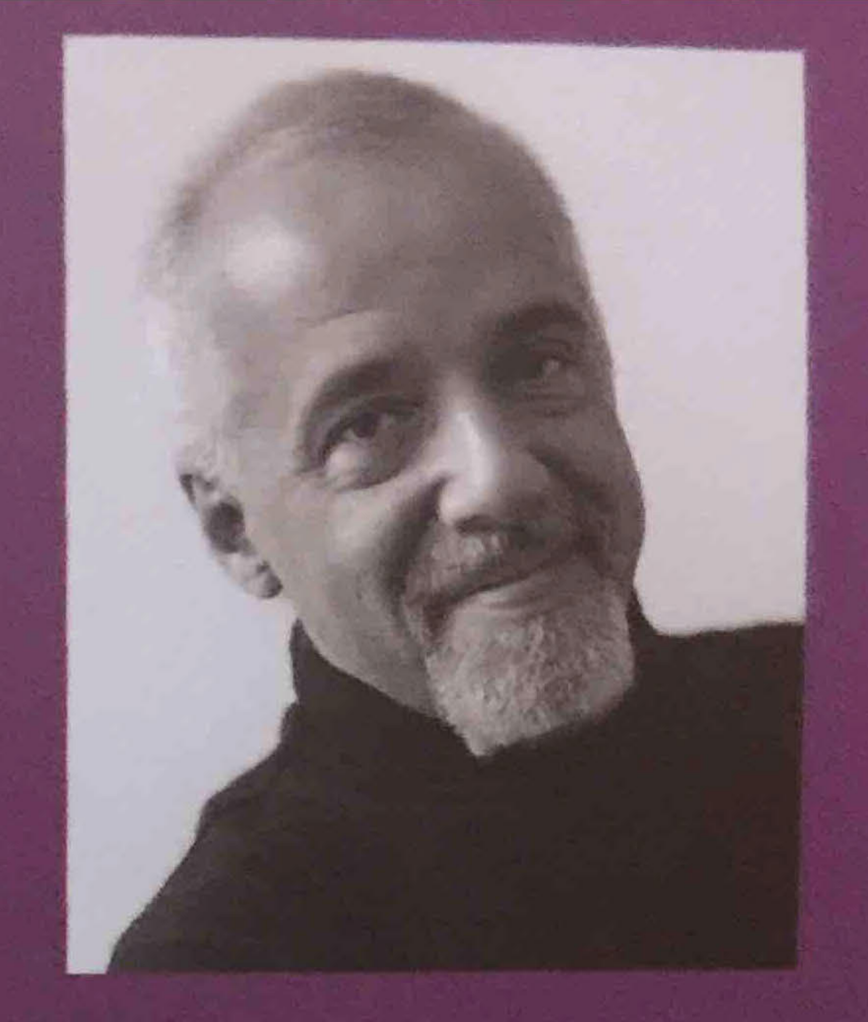
الطبعة الرابعة

پاولو كويلو

مؤلّف الرائعة العالميّة «الخيميائي»

أوراق محارب الضوء





پاولو كويلو

قبل أن يصبح پاولو كويلو، المولود سنة ١٩٤٧ في ريو دي جانيرو، كاتباً شعبيّاً معروفاً، كان كاتباً مسرحياً، ومدير مسرح، وإنساناً هيبياً، ومؤلّف أغانٍ شعبية لأشهر نجوم البرازيل.

سنة ١٩٨٦، سلك طريق مار يعقوب، المزار الإسباني القديم، ثم وصف تجربته في كتاب أسماه «حاجّ كومپوستيلا»، ونشره سنة ١٩٨٧. وفي السنة التالية، صدر كتابه الثاني «الخيميائي»، فغدا واحداً من أكثر الكتّاب المعاصرين قرّاءً، وظاهرة حقيقية في عالم النشر، وحاز المرتبة الأولى بين تسع وعشرين دولة، وتوالت، من ثمّ، سلسلة مؤلفاته تحصد المزيد من الشهرة والانتشار؛ منها: الڤالكيريز، على نهر پييدرا هناك جلست فبكيت، الجبل الخامس، ڤيرونيكا تقرّر أن تموت، الشيطان والآنسة بريم، إحدى عشرة دقيقة، الزهير، ساحرة پورتوبيللو، الرابح يبقى وحيداً، بريدا، مكتوب، أوراق محارب الضوء، ألف، مخطوطة وجدت في عكرا، الزانية.

نشرت مؤلفاته في ١٧٠ دولة، وترجمت إلى ٨٠ لغة، وبيع منها أكثر من ١٦٥ مليون نسخة. نال ١١٥ من الجوائز العالمية والأوسمة المرموقة. سُمّي مبعوث الأمم المتحدة للسلام منذ العام ٢٠٠٧. هو الكاتب الذي يحظى بأكثر نسبة متابعة على شبكات التواصل الاجتماعي.

أوراق محارب الضوء

پاولو كويلو

مؤلف الرائعة العالمية «الخيميائي»

أوراق محارب الضوء

ترجمة: سعيد محمد الحسنية

مراجعة: طلال السهيل



مقدمة الكاتب لسلسلة
رواياته الصادرة بالعربية

كان أحد كبار متصوّفي الإسلام يُحتضَر، وسوف ندعوه هنا حسن، عندما سأله تلميذ من تلامذته:

- «من كان معلّمك أيها المعلّم؟».

أجاب: «بل قُلْ المئات من المعلّمين. وإذا كان لي أن أسمّيهم جميعاً، فسوف يستغرق ذلك شهوراً عدة، وربما سنوات، وينتهي بي الأمر إلى نسيان بعضهم».

- «لكن، ألم يكن لبعضهم تأثير فيك أكبر من تأثير الآخرين؟».

استغرق حسن في التفكير دقيقةً كاملةً، ثم قال:

«ثلاثة، في الواقع، تعلّمت منهم أموراً على جانبٍ كبيرٍ من الأهمية:

«أوّلهم كان لصاً. فقد حدث يوماً أنني تُهت في الصحراء، ولم أتمكّن من الوصول إلى البيت إلاّ في ساعةٍ متأخّرةٍ جداً من الليل. وكنت قد أودعت جاري مفتاح البيت، ولم أملك الشجاعة لإيقاظه في تلك الساعة. وفي النهاية، صادفت رجلاً طلبت مساعدته، ففتح لي قِفل الباب بلمح البصر.

«أثار الأمر إعجابي الشديد، ورجوته أن يعلّمني كيف فعل ذلك، فأخبرني بأنه يعتاش من سرقة الناس. لكنني كنت شديد الامتنان له، فدعوته إلى المبيت في منزلي.

«مكث عندي شهراً واحداً. كان يخرج كل ليلةٍ، وهو يقول: سأذهب إلى العمل. أما أنت، فداوم على التأمّل، وأكثرْ من الصلاة. وكنت دائماً أسأله عندما يعود، عمّا إذا كان قد غنم شيئاً. فكان جوابه على الدوام، واحداً لا يتغيّر: «لم أوفَّق في اغتنام شيء هذا المساء. لكنّني، إن شاء الله، سأعاود المحاولة في الغد».

«كان رجلاً سعيداً. لم أرَه يوماً يستسلم لليأس جرّاء عودته صفر اليدين. من بعدها، خلال القسم الأكبر من حياتي، عندما كنت أستغرق في التأمّل يوماً بعد يوم، من دون أن يحدث أي شيء، ومن دون أن أحقّق اتّصالي بالله، كنت أستعيد كلمات ذلك اللص: «لم أوفّق بشيء هذا المساء، لكنّني، إن شاء الله، سأعاود المحاولة في الغد. كان ذلك يمنحني القوةَ على المتابعة».

- «ومن كان المعلّم الثاني؟».

«كان كلباً، فقد حدث أن كنتُ متوجّهاً إلى النهر لأشرب قليلاً من الماء، عندما ظهر هذا الكلب. كان عَطِشاً أيضاً. لكنه، عندما اقترب من حافّة النهر، شاهد كلباً آخر فيه. ولم يكن هذا غيرَ انعكاسٍ لصورته في الماء.

«دبّ الفزع في الكلب، فتراجع إلى الوراء وراح ينبح. بذل ما في وسعه ليُبعد الكلبَ الآخر، لكنّ شيئاً من هذا لم يحصل بالطبع. وفي النهاية، قرّر الكلب، وقد غلبه الظمأ الشديد، أن يواجه الوضع، فألقى بنفسه في النهر. وكان أن اختفت الصورة هذه المرة».

توقّفَ حسن قليلاً، ثم تابع:

«أخيراً كان معلّمي الثالث ولداً. فقد حدث أن رأيته يسير في اتجاه الجامع، حاملاً شمعة بيده، فبادرته بالسؤال: هل أضأت هذه الشمعة بنفسك؟ فردّ علي الصبي بالإيجاب. ولما كان يُقلقني أن يلعب الأولاد بالنار، تابعت بإلحاح، اسمعْ يا صبيّ: في لحظة من اللحظات كانت هذه الشمعة مُطفأة. أتستطيع أن تخبرني من أين جاءت النار التي تُشعلها؟

«ضحك الصبي، وأطفأ الشمعة، ثم ردّ يسألني: وأنت يا سيدي، أتستطيع أن تخبرني إلى أين ذهبت النار التي كانت مشتعلة هنا؟

«أدركت حينها كم كنت غبياً. من ذا الذي يُشعل نار الحكمة؟ وإلى أين تذهب؟ أدركت أن الإنسان، على مثال تلك الشمعة، يحمل في قلبه النار المقدّسة للحظاتٍ مُعيّنة، لكنّه لا يعرف إطلاقاً أين أُشعلت. وبدأت، منذ ذلك الحين أُسِرّ بمشاعري وأفكاري إلى كل ما يحيط بي: إلى السُّحُب والأشجار والأنهار والغابات، إلى الرجال والنساء. كان لي، طوال حياتي، الآلاف من المعلمين. وبتّ أثق بأن النار سوف تتوهّج عندما أحتاج إليها. كنتُ تلميذَ الحياة، وما زلتُ تلميذها. لقد استقيتُ المعرفةَ وتعلّمت من أشياء أكثر بساطة، من أشياء غير متوقّعة، مثل الحكايات التي يرويها الآباء والأمهات لأولادهم».

تُبيّن لنا هذه القصة الجميلة المقتبسة من موروث التصوّف في الإسلام، أن إحدى أقدم الطرق التقليدية، التي اعتمدها الإنسان لنقل معرفة جيله، كانت القصص والروايات. وفي ما يتعلّق بي، كانت الثقافة العربية إلى جانبي خلال معظم أيام حياتي، تُبيِّنْ لي أموراً

لم يستطع العالم، الذي أعيش فيه، أن يفقه معناها. واليوم، أستطيع للمرة الأولى، أن أردّ على المكرُمة بمثلها، وأنا أرقب كتبي تنشرها «شركة المطبوعات للتوزيع والنشر – لبنان»، في المنطقة نفسها التي كثيراً ما أثارت مُخيّلتي. وإنّني مُمتنّ للناشر السيد تحسين الخياط لما أبداه من حماسةٍ لجعل أعمالي في متناول قرّاء العربية من خلال ترجمتها ترجمةً اتّسمت بالجديّة، بعد حصوله منّي، وفقاً للأصول المعتمدة، على حقوق النشر.

وأودّ أخيراً، أن أتوجّه بالشكر إلى الوكيلة – المشاركة والصديقة، سوزان ناصيف، التي جعلت بحماستها، هذا الحلم ممكناً، ذلك أنني ما كنت، من دونها، لأستطيع إشراك هؤلاء الناس، الذين أحمل لهم الإعجاب الشديد، بمكنونات قلبي.

پاولو كويلو

أتضرع إليك يا مريم، العذراء، أن تصلّي من أجل الذين
يتوجهون إليك طلباً لمعونتك. آمين.

الإهداء

إلى S. I. L، كارلوس إدواردو رانخيل وآن كاريرا، أسياد الصلابة والتعاطف.

ملاحظة المؤلف

ظهرت مادة هذا الكتاب لأول مرة، فيما عدا التمهيد والتذييل، من ضمن عمود حمل اسم «مكتوب» في صحيفة Folha de São Paulo، في الفترة ما بين عامي ١٩٩٣ و ١٩٩٦، وكذلك في عدة صحفٍ أخرى في البرازيل، وسواها من البلدان.

لا يتفوق المريد على معلمه، لكن كل إنسانٍ مثالي سيكون على مثال معلّمه.

[لوقا ٦ - ٤٠]

تمهيد

قالت المرأة: «هناك جزيرة تقع إلى الغرب من القرية مباشرة، ويتربع على قمتها معبد ضخم يحتوي على أجراس عديدة».

لاحظ الفتى غرابة ملابس المرأة، والوشاح الذي تعتمره على رأسها، وتأكد أنه لم يسبق له أن رآها من قبل.

سألتْه: «هل سبق لك أن زرتَ ذلك المعبد؟ اذهب إلى هناك وأبلِغني رأيك فيه؟»

صُعق الفتى بجمال المرأة، ثم توجّه إلى المكان الذي دلّته عليه. جلس الفتى على الشاطئ، وراح يحدّق في الأفق، لكنه لم يرَ إلا ما اعتاد دوماً على رؤيته: السماء الزرقاء.

شعر الفتى بخيبةٍ شديدة وما لبث أن توجه إلى قرية قريبة يستخدمها الصيادون، ثم راح يسأل الذين التقاهم إن كانوا يعرفون شيئاً عن الجزيرة التي تضم المعبد.

قال له أحد الصيادين المتقدمين في السن: «آه، كان ذلك منذ سنواتٍ عديدة، أي عندما كان أجدادي على قيد الحياة. حدثت هزة أرضية، وابتلع البحر تلك الجزيرة، ومع أننا بتنا نعجز عن

رؤيتها، لكننا لا نزال قادرين على سماع أصوات أجراس المعبد عندما يشرع المحيط بقرعها في الأعماق».

عاد الفتى إلى الشاطئ، وحاول أن يسمع أصوات الأجراس. أمضى المساء بكامله هناك، لكنه لم يتمكن من سماع أي شيء عدا صوت الموج، وصراخ طيور النورس.

خيّم الظلام، فقدم والدا الفتى بحثاً عنه. عاد في صباح اليوم التالي إلى ذلك الشاطئ، لكنه لم يستطع أن يصدّق أن امرأة بذلك الجمال تكذب عليه. عزم أن يُبلغ المرأة، إذا ما عادت، بأنه استطاع سماع أصوات أجراس المعبد التي تتسبب حركة الأمواج بقرعها، بالرغم من أنه لم يتمكن من رؤية الجزيرة ذاتها.

مرّت شهور عديدة، لكن المرأة لم تعد، وما لبث الفتى أن نسي أمرها، مع أنه اقتنع بأنه يريد أن يكتشف الكنوز، والأموال، التي يحتويها ذلك المعبد الغارق تحت المياه. كان بحاجة إلى سماع أصوات الأجراس كي يتمكن من تحديد موقعها، واسترجاع الكنوز المخبأة.

فقَدَ الفتى اهتمامه بدروسه، وحتى بأصدقائه، إلى درجة أنه أصبح هدفاً لسخرية الأولاد. قالوا عنه: «إنه ليس مثلنا، وهو يفضّل أن يجلس محدّقاً في اتجاه البحر، لأنه يخشى أن نغلبه في الألعاب التي يخوضها معنا».

سخروا منه وضحكوا عندما رأوه جالساً قرب الشاطئ.

ومع أن الفتى لم يستطع سماع أصوات أجراس ذلك المعبد القديم، لكنه تعرّف إلى أمورٍ أخرى. أدرك أنه بدأ يعتاد على سماع أصوات الأمواج التي لم تعد غامضة بالنسبة إليه. بدأ بعد فترةٍ قصيرة

بالتعود على صراخ طيور النورس، وعلى طنين النحل، وهبوب الريح التي تخترق أشجار النخيل.

مرّت ستة أشهرٍ على محادثته الأولى مع المرأة، وبدا الفتى منشغلاً عن ضجيج الأصوات الأخرى التي يسمعها، لكنه مع ذلك لم يتمكن من سماع أجراس المعبد الغارق.

تحدّث صيادون مع الفتى، وأكدوا له بأنهم سمعوا أصوات الأجراس.

لكن الفتى لم يتمكّن من سماعها على الإطلاق.

غيّر الصيادون لهجتهم تجاهه بعد مضيّ فترةٍ من الوقت: «لاحظنا أنك تمضي وقتاً طويلاً وأنت تفكّر في الأجراس القابعة تحت مياه البحر. لماذا لا تنسَ أمر هذه الأجراس كي تلعب مع أصدقائك؟ نعتقد أن الصيادين لوحدهم هم من يتمكنون من سماع أصواتها».

بعد مرور نحو سنة من الزمن فكّر الفتى: «لعلهم على حق. يجدر بي أن أكبر، وأصبح صياداً، كي أتمكن من المجيء إلى الشاطئ كل صباح، لأنني بدأت أحب هذا المكان». وصل في تفكيره إلى أبعادٍ أخرى: «لعلها أسطورة أخرى، ولعل الأجراس تكسرت أثناء إحدى الهزات الأرضية، ولم تعد تقرع منذ ذلك الحين».

قرّر، في ذلك المساء، أن يعود إلى منزله.

سار مقترباً من الشاطئ، ومودّعاً. نظر مجدداً إلى البيئة الطبيعية المحيطة به. ولأنه لم يعد يكترث بالأجراس، تمكّن مجدداً من الابتسام عندما سمع صرخات طيور النورس الجميلة، وأصوات أمواج البحر، وهبوب الريح من خلال أغصان النخيل. تناهت إلى

سمعه من البعيد أصوات أصدقائه المنشغلين بألعابهم، فشعر بالسرور لأنه فكّر في استئناف ألعابه الطفولية معهم.

كان الفتى سعيداً بالقدر الذي يستطيع الطفل، وحده، بلوغه وشعر بالامتنان لأنه حيّ. تأكد الفتى بأنه لم يُضِع وقته سدى، لأنه تعلّم كيفية التأمل في الطبيعة واحترامها.

تمكّن بعد ذلك، وبسبب إصغائه إلى صوت أمواج البحر، وصرخات طيور النورس، وهبوب الريح من خلال أغصان النخيل، وإلى أصوات أترابه من الأولاد وهم يلعبون، تمكّن من سماع صوت أول جرس.

ثم ما لبث أن سمع صوت جرسٍ آخر.

وتكرّر سماعه أصوات الأجراس، إلى أن تمكّن، وسط شعور غامرٍ بالسعادة، من سماع أصوات قرع كل الأجراس في ذلك المعبد الغارق في طيات مياه البحر.

مرّت سنوات كثيرة. كبُر الفتى وأصبح رجلاً، ثم عاد إلى القرية، وإلى الشاطئ الذي أمضى بقربه أجمل أيام طفولته. لم يعد يحلم بالعثور على الكنز الغارق في أعماق البحر، لأن ذلك الكنز قد يكون من صنع مخيلته فقط، ولعله لم يسمع، بالفعل، أصوات الأجراس الغارقة، في ذلك المساء الغامض من مساءات طفولته. لكنه قرّر، مع ذلك، أن يسير بمحاذاة الشاطئ، وأن يصغي إلى ضجيج الرياح، وإلى صرخات طيور النورس.

هل تتصورون هول المفاجأة التي شعر بها الفتى عندما رأى، فوق ذلك الشاطئ، تلك المرأة التي تحدثت معه، لأول مرة، عن الجزيرة ومعبدها؟

سألها: «ماذا تفعلين هنا؟»

أجابت: «كنت أنتظرك».

لاحظ الفتى أن ملامح المرأة بقيت على حالها برغم مرور الأعوام، وأن الحجاب الذي يغطي شعرها لم تشحب ألوانه مع مرور الزمن.

ناولتْه دفتر مذكراتٍ أزرق اللون يحتوي على صفحاتٍ فارغة.

«اكتب: يقدّر محارب الضوء عيون الأطفال، لأنها قادرة على التطلع إلى عالمٍ يخلو من المرارة. وعندما يريد أن يعرف ما إذا كان الشخص الواقفُ إلى جانبه يستأهل ثقته، فسيحاول أن يراه كما يفعل الأطفال».

«ومن يكون محارب الضوء هذا؟»

ابتسمت وأجابت: «أنت تعرفه جيداً. إنه ذلك الشخص الذي يقدر على فهم معجزة الحياة، وفهم كيفية النضال من أجل أمرٍ ما يؤمن به حتى النهاية، ويقدر على سماع الأجراس التي تقرعها الأمواج تحت قاع البحر».

لم يعتبر نفسه أبداً محارب الضوء. بدا أن المرأة تمكّنت من قراءة أفكاره، فقالت له: «يقدر كل شخص على هذه الأمور، وبالرغم من أن أحداً لا يعتبر نفسه محارب الضوء، لكننا جميعاً محاربو ضوء».

حدّق الفتى في صفحات دفتر المذكرات الخالية. ابتسمت المرأة مجدداً.

قالت له: «اكتب عن ذلك المحارب».

يعرف محارب الضوء أنه ممتن لأمورٍ كثيرة.

لقي في كفاحه مساعدة من الملائكة، وهي القوى السماوية التي تضع كل شيء في نصابه، وهي ما يمكّنه من إظهار أفضل ما عنده.

قد يقول مرافقوه: «يا له من رجلٍ محظوظ!» لكن المحارب يُنجز في بعض الأحيان أموراً تتعدى قدراته بكثير.

وهذا هو السبب الذي يدفعه إلى الركوع، وقت مغيب الشمس، كي يشكر عباءة الحماية التي تحيط به.

لكن امتنانه، مع ذلك، ليس محدوداً بالعالم الروحي، لأنه لا ينسى، أبداً، أصدقاءه الذين اختلطت دماؤهم بدمائه في ميدان المعارك.

لا يحتاج محارب الضوء إلى من يذكّره بالمساعدة التي تلقاها من الآخرين، لأنه أول من يتذكّرها، كما يحرص على أن يتقاسم معهم أيّ منافع يتلقاها.

تؤدي كل الطرق في العالم إلى قلب المحارب، ولذلك يندفع، من دون تردد، إلى نهر الحماسة المتدفق أبداً خلال حياته.

يعرف المحارب جيداً بأنه حرٌ في اختيار رغباته، لذلك تراه يتخذ قرارته بكل جرأة، وتجردٍ، وأحياناً بلمسةِ جنون.

يتبنى المحارب هواياته ويستمتع بها كثيراً. يعرف أيضاً أنه ليس مضطراً للتخلي عن المسرات الناتجة عن نضالاته، لأنها جزءٌ من الحياة كما أنها تُدخل الفرح في قلوب الذين يخوضونها.

لكنه لا ينسى الأمور الخالدة، ولا الروابط القوية التي تزداد صلابةً مع الزمن.

يمتلك المحارب القدرة على التمييز بين ما هو عابر وما هو دائم.

لا يعتمد محارب الضوء على القوة وحدها، لكنه يعرف أيضاً كيف يستخدم طاقة خصمه.

أما عندما يدخل في المعركة، فإن كل ما يمتلكه هو حماسته، بالإضافة إلى الحركات والضربات التي يكون قد تعلّمها أثناء تدريباته. يكتشف المحارب أثناء تطور المعركة، بأن الحماسة والتدريب لا يضمنان له الفوز، لأن الأمر المهم هو الخبرة.

يفتح المحارب قلبه أمام الكون، ويطلب من الله أن يعطيه الإلهام الذي يحتاجه كي يحوّل كل ضربةٍ يتلقاها من خصمه إلى درسٍ في الدفاع عن النفس.

يقول رفاق المحارب: «يا له من رجلٍ يؤمن بالخرافات. لقد توقف عن العراك كي يصلي، حتى أنه يبدي كل الاحترام لحيل خصمه».

لا يرد المحارب على هذه الاستفزازات لأنه يعرف أنه من دون الإلهام والخبرة لن يتمكن من الاستفادة من التدريبات التي تلقاها، مهما عظُمت.

لا يلجأ محارب الضوء إلى الخداع أبداً، لكنه يعرف تماماً كيفية إرباك خصمه.

يستخدم المحارب استراتيجية يمتلكها من أجل الفوز بمبتغاه، وذلك مهما كانت درجة التوتر التي يشعر بها. أما عندما يلاحظ أن قوته باتت على وشك التلاشي، فإنه يوهم خصمه بأنه يحاول كسب بعض الوقت. يعمد المحارب إلى تحريك قواته يسرةً عندما يريد مهاجمة ميمنة خصمه. أما عندما يريد أن يبدأ بالعراك على الفور، فيتظاهر بالتعب، وبالتحضّر للنوم.

يقول أصدقاء المحارب: «أنظروا، لقد فقدَ كل حماسته». لكنه لا يلقِ بالاً لملاحظةٍ كهذه لأن أصدقاءه لا يفهمون خططه.

يعرف محارب الضوء ماذا يريد، ولا يضطر أبداً إلى إضاعة وقته في تقديم التفسيرات.

تحدّث أحد الحكماء الصينيين عن الاستراتيجيات التي يجدر بمحارب الضوء أن يتبعها:

«أقنِع خصمك بأنه لن يكسب الكثير من مهاجمتك، لأن ذلك يقلّل حماسته كثيراً».

«لا تخجل من الإقدام على انسحابٍ مؤقتٍ من ميدان المعركة إذا ما شعرتَ بأن خصمك أقوى منك، لأنه ليس من المهم أن تربح معركةً واحدةً، أو أن تخسرها، لكن المهم هو نتيجة الحرب ككل».

«لا تخجل من التظاهر بالضعف، حتى ولو كنتَ قوياً جداً، لأن من شأن ذلك أن يجعل عدوك يتصرف باستهتار، وأن يهاجمك قبل الوقت المناسب بكثير».

«يكمن مفتاح النصر في الحرب في القدرة على مفاجأة الخصم».

يحدّث محارب الضوء نفسه ويقول: «كم استغربت عندما التقيت عدداً كبيراً من الأشخاص الذين، وفي أول فرصةٍ تسنح لهم، حاولوا إظهار أسوأ ميزاتهم. إنهم يخبئون قدراتهم الداخلية وراء ستار من العدوانية، ويخبئون خوفهم من الوحدة وراء قناعٍ من الاستقلالية. لا يؤمن هؤلاء بقدراتهم الذاتية، لكنهم يتشدقون، دائماً، بالمزايا التي يمتلكونها.

يلاحظ المحارب هذه النقاط عند كثيرٍ من النساء والرجال الذين يلتقيهم، لكنه لا ينخدع أبداً بالمظاهر، كما يحرص على البقاء صامتاً عندما يحاول الآخرون إثارة إعجابه بهم. إنه ينتهز هذه الفرصة من أجل تصحيح عيوبه، لأن الآخرين ليسوا إلا مرآةً ممتازةً بالنسبة إليه.

ينتهز المحارب كل الفرص كي يعلّم نفسه.

يضطر محارب الضوء أحياناً إلى الوقوف في وجه الذين يحبهم.

إن الرجل الذي يدافع عن أصدقائه لا ينهزم أبداً أمام عواصف الحياة، لأنه يمتلك قوةً كافية تسمح له بالتغلب على الصعاب والمضي قدماً.

يواجه المحارب، في بعض الأحيان، تحدياتٍ من الذين يحاول أن يعلمهم فنون القتال، لأن هؤلاء التلامذة يستفزونه لمواجهتهم.

يستعرض المحارب قدراته، لذلك تراه يتمكن من تجريد تلامذته من أسلحتهم، وهكذا يعود الإنسجام إلى المكان الذي يجمعهم.

سأله أحد المسافرين: «ولماذا تكلّف نفسك هذا العناء، في حين أنك أفضل منهم بكثير؟»

أجاب المحارب: «لأنهم أرادوا محاورتي بالفعل عندما تحدوني، كما أن هذه هي طريقتي في إبقاء الحوار مفتوحاً».

يسأل المحارب نفسه قبل أن يشرع في خوض معركةٍ مهمة:
«إلى أي مدى تمكّنتُ من تطوير قدراتي؟»

يدرك المحارب أنه تعلّم أمراً ما في كل معركةٍ خاضها، لكن دروساً كثيرة من تلك التي تعلمها سببت له معاناة غير ضرورية. وكم من المرات أضاع وقته في الكفاح من أجل كذبة، وكم من المرات تعذّب من أجل الأشخاص الذين لا يستحقون حبّه؟

لا يقترف المنتصرون الخطأ ذاته مرتين، وهذا هو السبب الذي يدفع بالمحارب إلى عدم المخاطرة بنفسه، إلا من أجل قضيةٍ تستحق التضحية.

يحترم محارب الضوء أهم مبدأ من تعاليم آي تشينغ: «احرِص على المثابرة».

يعرف المحارب أن المثابرة لا تحمل المعنى ذاته الذي يحمله الإصرار. يحدث أحياناً أن تستمر بعض المعارك وقتاً أطول مما هو ضروري، وهو الأمر الذي يستنفد قوته وحماسته.

يفكر المحارب في لحظاتٍ كهذه: «إن الحرب الطويلة تدمر حتى المنتصرين فيها».

يعمد المحارب، أحياناً، إلى سحب قواته من ميدان المعركة كي يمنح نفسه فترةً من الراحة. يثابر المحارب وراء أمنياته، لكنه يعرف أنه يجدر به انتظار أنسب اللحظات لهجومه.

يعود المحارب، دوماً، إلى ميدان الصراع، لكنه لا يفعل ذلك بدافع العناد، بل لأنه لاحَظَ تغيّراتٍ في الأجواء.

يعرف محارب الضوء أن بعض الأحداث تكرّر ذاتها.

ويكتشف، في أحيان كثيرةً، أنه يواجه المشاكل والظروف ذاتها.

يشعر المحارب بالكآبة لدى عودة هذه الظروف الصعبة، ويستنتج بأنه غير قادرٍ على تحقيق أي تقدمٍ في الحياة.

يقول في نفسه: «لقد مررت في هذه الظروف من قبل».

لكنه يسمع الجواب آتياً من أعماقه: «أجل، لقد مررتَ بهذه الظروف من قبل، لكنك لم تستطع أن تتخطاها».

يدرك المحارب بعد ذلك أن كل هذه التجارب المتكررة تحمل معها هدفاً واحداً فقط، وهو تعليمه الأمور التي لا يريد أن يتعلمها.

يتصرف المحارب بطريقة غير متوقعة على الإطلاق.

لا يندر أن تراه يسير متراقصاً في الشارع الذي يؤدي إلى مكان عمله، أو أن يحدّق في عينَي رجلٍ غريبٍ عنه تماماً، أو أن يتحدث بكلام الحب من النظرة الأولى، أو أن يدافع عن فكرةٍ سخيفة. يسمح محاربو الضوء لأنفسهم بالتصرف بطريقةٍ كهذه في بعض الأحيان.

لا يمنع المحارب نفسه من البكاء على أحزانٍ قديمة، أو من الشعور بالبهجة عند اكتشافه أموراً جديدة. أما عندما يشعر أن اللحظة المناسبة قد حانت، فإنه يترك كل شيء وينطلق وراء مغامرةٍ لطالما حلم بها في السابق. يتجنب المحارب الدخول في الصراع عندما يدرك أنه لا يستطيع أن يفعل المزيد، لكنه لا يلوم نفسه لأنه ارتكب حماقاتٍ عدة غير متوقعة.

لا يُمضي المحارب أيامه في لعب الدور الذي اختاره له الآخرون.

يتميّز محاربو الضوء بوميضٍ معيّنٍ في عيونهم.

إنهم من هذا العالم، ويشكلون أجزاءً من حياة أشخاصٍ آخرين، كما أنهم ينطلقون في رحلتهم من دون مؤونة، ولا نعالٍ. يحسّون أحياناً بالجبن، كما أنهم لا يتخذون القرارات المناسبة على الدوام.

إنهم يعانون من أتفه الأمور، وتسيطر عليهم أحياناً أفكار سيئة، كما أنهم يظنون أنهم غير قادرين على التطور. ولا يندر أن يعتبروا أنفسهم غير مؤهلين لنيل أي بركةٍ، أو تلقي أي معجزة.

لا يتأكد محاربو الضوء دائماً مما يفعلونه في المكان الذي يقفون فيه. إنهم يمضون لياليَ كثيرة مع الأرق، معتقدين أن حياتهم تفتقد إلى معنى يرتبط بها.

وهذا هو سبب اعتبارهم محاربي ضوء. لأنهم يقترفون الأخطاء، ولأنهم يطرحون على أنفسهم أسئلةً كثيرة، ولأنهم يبحثون عن سبب، لكنهم واثقون من عثورهم عليه.

لا يقلق محارب الضوء من أن تبدو تصرفاته خرقاء بالنسبة للآخرين.

إنه يتحدث مع نفسه، وبصوتٍ عالٍ، عندما يكون وحيداً. يفعل ذلك لأن شخصاً ما أبلغه أن هذه هي أفضل طريقة للتحدث مع الملائكة، لذلك تراه يغامر في محاولته إقامة إتصالٍ معها.

يجد المحارب هذا الأمر صعباً جداً في البداية، ويعتقد بأنه لا يمتلك شيئاً كي يقوله، وأنه سوف يكرّر أحاديثه التي تفتقد إلى المعاني العميقة. لكن المحارب يثابر مع ذلك، ويُمضي جلّ يومه في التواصل مع قلبه. إنه يتفوّه بأمورٍ لا يوافق عليها، ويتحدث عن سخافاتٍ بكل معنى الكلمة.

يلاحظ المحارب، في أحد الأيام، تغيّراً في صوته. يدرك، أيضاً، أنه يتصرف كقناةٍ من أجل إيصال حكمةٍ أسمى للآخرين.

قد يبدو المحارب مجنوناً، لكن ذلك ليس إلا قناعاً.

يقول أحد الشعراء: «المحارب يختار أعداءه».

إنه يعرف الأمور التي يقدر عليها، لكنه ليس مضطراً للتجوال بين الناس كي يفاخر بمزاياه وفضائله. لكننا نجد، مع ذلك، أشخاصاً يرغبون في إثبات أنهم أفضل منه.

لا يجد المحارب نفسه مضطراً إلى الإختيار ما بين الشخص «الأفضل» أو «الأسوأ»، لأن كل شخصٍ يمتلك المواهب الضرورية لطريقه المحددة له.

لكننا نجد بعض الأشخاص يصرّون على هذا التمييز. إنهم يستفزّون، ويهاجمون، ويفعلون كل ما بوسعهم بهدف مضايقة محارب الضوء. يخفق قلب المحارب، عند هذه النقطة، ويقول: «لا تردّ على هذه الإهانات، لأن ردّك لن يضيف شيئاً إلى قدراتك. ستتعب نفسك من غير طائل إذا فعلت».

لا يضيّع محارب الضوء وقته في الإصغاء إلى الاستفزازات، لأنه يمتلك قَدَراً يتعيّن عليه أن يلاقيه.

يتذكر محارب الضوء مقطعاً كتبه جون بونيان:

«بالرغم من أنني مررت بهذه التجربة من قبل، فأنا لا أتأسف على الشدائد العديدة التي لقيتها، لأن هذه الشدائد هي التي أوصلتني إلى المكان الذي أردت بلوغه. لا أمتلك الآن إلا سيفي هذا، وأنا مستعد أن أعطيه لأي شخصٍ يرغب في متابعة طريق حجّه. إنني أحمل الآثار، والندوب، التي تركتها المعارك التي خضتها، وهي الشاهد على معاناتي، وعلى المكافأة التي نلتها نتيجة انتصاراتي.

«إنها آثار وندوب محببة إلى قلبي، وهي التي ستفتح أمامي أبواب الجنة. أصغيت فيما مضى إلى حكايات الشجعان، كما مرّت عليّ أوقات عشت فيها لا لسببٍ إلا لأنني احتجت أن أعيش. لكني أعيش الآن لأنني محارب، ولأنني أرغب، في يومٍ ما أن أكون برفقته، وهو الأمر الذي جاهدت من أجله بكل قوة».

يبدأ محارب الضوء بالتعرف على طريقه ما إن يبدأ بالمسير.

يرحِّب به كل حجرٍ، وكل منعطفٍ، في طريقه. ويتوحد مع الجبال وجداول المياه، ويرى شيئاً من روحه في النباتات والحيوانات والطيور التي تملأ الحقول.

يتقبل المحارب بعد ذلك مساعدة الله، ويتعرّف إلى إشارات الله، لذلك يسمح **لأسطورته الشخصية** أن تقوده نحو المهمات التي عيّنتها الحياة له.

يفتقد المحارب، في بعض الليالي، إلى مكانٍ ينام فيه، أما في بعض الليالي الأخرى فهو يعاني من الأرق. يفكّر المحارب في دخيلة نفسه: «هذه هي الحياة. أنا من اختار أن يسلك هذا الطريق».

هنا تكمن قوته بأجمعها: لقد اختار طريقه الذي يسير عليه، ولذلك تراه لا يتذمر منه.

سيبدأ الكون، منذ الآن فصاعداً وحتى مئاتٍ قادمةٍ من الأعوام، في مساعدة محاربي الضوء، وفي عرقلة مساعي أبناء الظلام.

تحتاج الأرض إلى التجدّد.

وتحتاج الأفكار الجديدة إلى الحيّز المناسب.

أما الجسد والروح فيحتاجان إلى تحدياتٍ جديدة.

أضحى المستقبل حاضراً. أما الأحلام، فيما عدا الأحلام التي تشتمل على الأفكار التي سبقَ تصوّرها، فتستحق أن تُسمع.

سيبقى معنا كل أمرٍ يحمل أهمية، وستختفي كل الأمور التافهة. لكن ليس من ضمن مسؤولية المحارب أن يحكم على أحلام الآخرين، كما أنه لا يضيّع وقته في توجيه النقد إلى القرارات التي يتخذها الآخرون.

وإذا أراد المحارب أن يقوي إيمانه في طريقه، فهو لن يحتاج إلى أن يبرهن خطأ طرقات الآخرين.

يدرس محارب الضوء، بكل عناية، الموضع الذي يريد أن يقهره.

توجد طريقة للتغلب على العقبات مهما بلغت صعوبة الهدف.
يعمد المحارب إلى البحث عن طرقٍ بديلة، ويشحذ سيفه، ثم يحاول أن يملأ قلبه بالتصميم الذي يلزمه من أجل مواجهة تحدياته.

لكن المحارب يدرك، أثناء تقدمه، وجود صعوبات غير محسوبة.

إذا انتظر المحارب اللحظة المثالية، فهو لن ينطلق أبداً في هجومه.
إنه يحتاج إلى لمسةٍ من جنون تسمح له بالشروع في خطوته التالية.

يعرف المحارب كيفية استخدام لحظة الجنون تلك، لأنه يستحيل عليه أن يتوقع كل شيء في حالتَي الحب والحرب، على السواء.

يعرف محارب الضوء الأخطاء التي ارتكبها، لكنه يعرف جيداً المزايا التي يتمتع بها.

اعتاد بعض رفاق المحارب على التشكي من أن، «بعض الناس يحصلون على فرصٍ أكثر من تلك التي أعطيت لنا».

يُحتمل أن يكونوا على حق، لكن المحارب لا يسمح لنفسه الاستسلام للشلل لهذا السبب، بل يحاول أن يستغل مهاراته إلى أقصى الحدود.

يعرف المحارب أن قوة الغزال تكمن في ساقيه القويتين، وأن قوة طير النورس تكمن في دقة اصطياده للسمكة. تعلّم كذلك أن سبب عدم خشية النمر من الضبع يعود إلى أنه يعرف نقاط قوته هو.

يحاول المحارب أن يقوي الأمور التي يعتمد عليها، كما يحرص على أن يتزوّد بثلاثة أمور: الإيمان، والأمل، والمحبة.

لا يتردد المحارب في المضي قدماً إذا تواجدت هذه الأمور الثلاثة.

يعرف المحارب أنه لا وجود للأغبياء، وأن الحياة تعلَم الجميع، مهما طالت المدة.

إنه يقدَم أفضل ما عنده على الدوام. وكذلك يتوقع من الآخرين أن يقدموا أفضل ما عندهم. يحاول المحارب، عبر كَرَمه، أن يُظهر للجميع بأنهم قادرون على إنجاز أي شيء.

يقول بعض رفاقه: «إن بعض الناس جاحدون».

لا يشعر المحارب بالإحباط بسبب هذه الأقوال، ويستمر في تشجيع الآخرين، لأنه بذلك يشجع نفسه بطريقةٍ أخرى.

يشعر محاربو الضوء بالخوف قبل خوض المعركة.

أقدمَ كل محارب ضوء على الكذب، أو على خيانة شخصٍ ما، في فترةٍ ما من ماضيه.

وكل محارب ضوء سلك، في الماضي، طريقاً غير طريقه.

وكل محارب ضوء جرّب العذاب لأتفه الأسباب.

وكل محارب ضوء اعتقد، مرةً على الأقل، أنه ليس محارب ضوء.

وكل محارب ضوء ذاق طعم الفشل في واجباته الروحية.

وكل محارب ضوء قال «نعم»، في حين أراد أن يقول «لا».

وكل محارب ضوء تسبب في أذية شخصٍ يحبه.

وهذه الأسباب، مجتمعةً، هي التي تجعل منه محارب ضوء، لأنه مرّ بكل هذه التجارب، لكنه لم يفقد، أبداً، الأمل في أن يكون أفضل مما هو عليه.

يُصغي المحارب، دائماً، إلى كلمات مفكرين معيّنين، مثل تلك التي قالها تي. آيتش. هكسلي:

«إن عواقب أفعالنا هي فزّاعات بالنسبة إلى الحمقى، لكنها منارات بالنسبة إلى الحكماء».

«رقعة الشطرنج هي العالم، وقطع رقعتها ما هي إلا إشارات حياتنا اليومية. أما قواعد هذه اللعبة فهي ما نطلق عليه اسم قوانين الطبيعة. يختبئ عنا اللاعب في الجهة المقابلة، لكننا نعلم أنه يلعب على الدوام، بطريقة منصفة، وعادلة، وصبورة.

يتوجب على المحارب، بكل بساطة، أن يقبل التحدي. إنه يعرف أن الله لا يتغاضى أبداً عن أي خطأ يرتكبه الذين يحبهم، كما أنه لا يسمح للأثيرين عنده بالتظاهر بأنهم يجهلون قواعد اللعبة.

لا يعمد محارب الضوء إلى تأجيل عملية إتخاذه للقرارات.

إنه يفكر كثيراً قبل أن يتصرّف، ويأخذ بعين الإعتبار تدريباته، ومسؤولياته، وواجباته التي تُفرض عليه كونه معلماً. إنه يحاول أن يحافظ على سكونه، لكي يتمكّن من تحليل كل خطوةٍ يخطوها، وكأن هذه الخطوة تحمل معها أهمية قصوى.

وبالرغم من ذلك، فإن المحارب يمضي قُدُماً ما إن يتخذ قراراً ما، وهو لا يشك أبداً في التحرك الذي اختاره، ولا هو يغيّر إتجاهه إذا انحرفت الظروف عن النحو الذي توقّعها.

يربح المحارب المعركة إذا ما كان قراره صحيحاً، وحتى لو استمرت المعركة وقتاً أطول من المتوقع. أما إذا كان قراره خاطئاً فإنه سوف يُهزم، وسيتعيّن عليه أن يبدأ من جديد، لكنه سوف يفعل ذلك، هذه المرة، بحكمةٍ أكبر من ذي قبل.

لكن ما إن يبدأ محارب الضوء في تحركّه حتى يتابعه إلى النهاية.

يعرف محارب الضوء أن أفضل معلميه هم الأشخاص الذين يتقاسم وإياهم ميدان المعركة.

يعرف المحارب، أيضاً، خطورة طلب النصيحة، وأن إعطاءها هو أكثر خطورة من طلبها. أما عندما يحتاج إلى المساعدة، فهو يلاحظ الطريقة التي ينجح بها أصدقاؤه، في حلّ مشاكلهم، أو يفشلون في حلّها.

أما إذا كان يبحث عن الإلهام، فإنه يقرأ في شفتَي جاره الكلمات التي يحاول ملاكه الحارس أن يقولها له.

أما عندما يشعر بالتعب، أو بالوحدة، فإنه لا يحلم بالإتصال برجالٍ ونساءٍ بعيدين عنه، لكنه يلتفت إلى الشخص القريب منه كي يشاطره أحزانه، أو حاجته إلى تبادل المودة معه، بطريقة سارةٍ تخلو من الشعور بالذنب.

يعرف المحارب أن أبعد نجم عنا في هذا الكون يكشف لنا عن مكنوناته في الأشياء المحيطة بنا.

يتقاسم محارب الضوء عالمه مع الأشخاص الذين يحبهم.

إنه يحاول أن يشجعهم على القيام بالأمور التي يودون القيام بها، لكنهم يفتقدون إلى الجرأة اللازمة لهم. يظهر العدو في تلك الأوقات حاملاً لوحتين خشبيتين في يده.

كُتبت على اللوحة الأولى الكلمات التالية: **«فكّر في نفسك. احتفظ لنفسك بكل البركات وإلا ستنتهي بخسارة كل شيء».**

وحملت اللوحة الثانية الكلمات التالية: **«من تظن نفسك يا ترى حتى تساعد الآخرين؟ ألا تدرك أخطاءك أنت؟».**

يعرف المحارب أن لديه أخطاءه، لكنه يعرف أيضاً أنه لا يستطيع أن يمضي في الحياة لوحده، أي أن يُبعد نفسه عن رفاقه.

يعمد المحارب، لأجل ذلك إلى إلقاء اللوحتين أرضاً، حتى ولو كان يعتقد أنهما قد تحملان ذرةً من الحقيقة. تستحيل اللوحتان حفنة من الغبار، لكن المحارب يستمر في تشجيع الأشخاص الأكثر قرباً منه.

يتحدث الفيلسوف لاو تسي عن رحلة محارب الضوء، فيقول:

«تشتمل «الطريق» على احترام كل الأشياء الصغيرة والدقيقة. تعلّم أن تدرك اللحظة المناسبة التي تتبنى فيها المواقف الضرورية».

«حتى ولو كنتَ قد أطلقت السهام مراتٍ عديدة، فسيتوجب عليك أن تنتبه إلى وضعية السهم، وكيفية ثَنْيك للوتر».

«عندما يعرف المبتدئ الأمور التي يحتاجها، فإنه سوف يُبدي ذكاءً أكبر من ذلك الذي يُظهره الحكيم شارد الذهن».

«يستجلب تجميع المحبة الحظ الحسن، لكن تجميع الكراهية يستجلب الكوارث. إن أي شخص يفشل في إدراك مشاكله يترك باباً مفتوحاً تندفع المآسي من خلاله».

«المعركة ليست مثل الشجار».

يشرع محارب الضوء في تأملاته.

يجلس في مكانٍ هادئ داخل خيمته، ويسلّم ذاته للنور المقدّس. إنه يحاول عدم التفكير في أي شيء عندما يفعل ذلك، لذلك يعزل نفسه عن البحث عن المتع، والتحديات، والكشف، ويسمح لمواهبه وقواه أن تعلن عن ذاتها.

لكن هذه المواهب والقوى هي التي تعتني بحياته، وهي التي تحمي وجوده اليومي.

لا يبقى محارب الضوء هو ذاته أثناء تأملاته، لكنه يصبح شرارةً من روح العالم. إن هذه اللحظات هي التي تتيح له إدراك مسؤولياته، وترشده إلى كيفية التصرّف بموجبها.

يعرف محارب الضوء أنه سوف يسمع، في سكينة قلبه، الأمرَ الذي سوف يرشده إلى الطريق.

قال هيريغيل إلى الأستاذ الذي يعلّمه الزن: «أمرُّ بلحظةٍ، عندما أتناول قوسي، أشعر خلالها وكأن نَفَسي سوف ينقطع إذا لم أرمِ سهمي على الفور».

ردّ عليه معلمه بالقول: «إذا استمريت بالتردد في تحديد اللحظة المناسبة لإطلاق السهم، فلن تتعلم أبداً فنون الرمي. إن إفراط الرامي في رغبته في الرمي يُفسد، في بعض الأحيان، دقة الرمية».

يفكّر محارب الضوء في نفسه أحياناً: «إذا لم أفعل شيئاً، فلن يُنجز الأمر».

لكن الأمور لا تجري دائماً على هذا النحو: يتعيّن عليه أن يتصرّف، إلا أنه يتوجب عليه أن يترك فرصةً للكون كي يتصرّف أيضاً.

عندما يقع محارب الضو ضحية ظلم ما، فإنه يفضّل، عادةً، أن يكون وحيداً، وذلك كي لا يُظهر ألمه للآخرين.

يوجد وجهٌ حسن، ووجهٌ سيّء، لهذا الأمر.

إن إعطاء المرء فرصةً لقلبه لكي يشفي جروحه ببطء هو شيء، لكن الجلوس طيلة اليوم وسط تأملٍ عميق خشية أن يبدو المرء ضعيفاً، هو أمرٌ آخر.

يعيش داخل كل فردٍ منا ملاكٌ وشيطان، لكن أصواتهما تتشابهان كثيراً. يشجعنا الشيطان، عندما نواجه مشكلةً ما، على التحدث إلى ذاتنا في محاولةٍ منه أن يُظهر لنا مدى ضعفنا. أما الملاك فيحثّنا على التأمل بمواقفنا، وعادةً ما يحتاج إلى فم شخصٍ آخر كي يكشف عن نفسه.

يوازن المحارب ما بين الوحدة، والاعتماد على الغير.

يحتاج محارب الضوء إلى الحب.

إن الحب والإعجاب يشكلان جزءاً من طبيعته، مثل الأكل والشرب، وبعض العراك الإيجابي. وإذا جلس المحارب مراقباً مغيب الشمس من دون أن يشعر بالفرح، فمعنى ذلك أن شيئاً ما على غير ما يرام.

يتوقف المحارب عن العراك عند هذه النقطة، ويمضي كي يفتّش عن رفاقٍ له، كي يجلسوا ويراقبوا مغيب الشمس سوية.

أما إذا وجد صعوبة في إيجاد رفاقٍ له، فتراه يطرح السؤال التالي على نفسه: «هل كنتُ خائفاً جداً من التقرّب من أحدهم؟ وهل نلت إعجاب شخصٍ ما، لكن من دون أن ألاحظ ذلك؟»

يستفيد محارب الضوء من الوحدة، لكنه لا يسمح لها أن تستفيد منه.

يعرف محارب الضوء أنه يستحيل أن يُمضي المرء حياته في حالةٍ من الإسترخاء التام.

سبق للمحارب أن تعلّم من رامي النبال، أنه إذا أراد أن يصل بسهمه بعيداً، فسيتوجب أن يكون قوسه مشدوداً جداً. وتعلّم من النجوم بأن انفجارها الداخلي فقط هو الذي يجعلها تلتمع. يلاحظ المحارب، أيضاً، أنه حينما يكون الحصان على وشك القفز فإن عضلاته تتوتر.

لكن المحارب لا يخلط أبداً بين التوتر والقلق.

يتمكّن محارب الضوء، على الدوام، من موازنة الصرامة مع الرحمة.

لكنه يحتاج من أجل تحقيق حلمه إلى إرادةٍ قوية، وطاقةٍ هائلة للتقبل. يُحتمل أن يضع المحارب هدفاً معيناً نصب عينيه، لكن الطريق الذي يؤدي إلى ذلك الهدف، بالرغم من ذلك، قد لا يكون دائماً كما توقعه.

وهذا هو السبب الذي يدفع المحارب إلى استخدام مزيج من الانضباط والشفقة. إن الله لا يتخلى عن أبنائه أبداً، لكننا لا نفهم غاياته، وهو يبني الطريق بخطواتنا نحن.

يستخدم المحارب مزيجاً من الانضباط والتقبّل من أجل تقوية حماسته، لذلك نلاحظ أن الروتين لم يكن، قط، على رأس أولويات أية حركة مهمة.

يتصرّف محارب الضوء أحياناً مثل الماء فيدور حول الصعاب التي يلاقيها في طريقه.

قد تعني المقاومة التعرّض للتدمير في بعض الأحيان، لذلك يتكيّف المحارب مع الظروف. إنه يتقبّل، ومن دون تذمّر، واقع أن الأحجار الموجودة على طول الطريق تعترض مساره عبر الجبال.

هنا تكمن قوة الماء، لأنه ما من مطرقة تقدر على تهشيمه، وما من سكّين تجرحه. إن أقوى سيفٍ في العالم لا يستطيع تشويه سطحه.

تكيّف مياه النهر نفسها مع أي مسار يمكّنها من متابعة طريقها، لكن النهر لا ينسى، أبداً، هدفه الوحيد: البحر. وبالرغم من أن النهر يكون ضعيفاً جداً عند منبعه، إلا أنه يكتسب، تدريجياً، قوة الأنهر الأخرى التي يلاقيها في طريقه.

لكن قوته تمسي مطلقة بعد نقطةٍ معينة.

لا وجود للأمور المجردة بالنسبة إلى محارب الضوء.

لأن كل الأمور راسخة، وكل الأمور تحمل معنى. إنه لا يكتفي بالجلوس مسترخياً في خيمته كي يتأمل ما يجري في هذا العالم، لكنه يعتبر أن كل تحدٍ يواجهه يمثّل فرصةً أمامه كي يغيّر ذاته.

يُمضي بعض رفاق المحارب حياتهم وهم يشكون من عدم قدرتهم على الاختيار، أو في التعليق على القرارات التي يتخذها الآخرون. أما المحارب فهو، في كل الأحوال، يحوّل تفكيره إلى تحرك.

يختار المحارب هدفاً خاطئاً في بعض الأحيان، لكنه يدفع ثمن غلطته من دون تذمر. ويعمد في أوقات أخرى إلى الانحراف عن طريقه، ويضيّع أوقاتاً طويلة من أجل الرجوع إلى المكان الذي بدأ منه.

لكن المحارب لا يسمح أبداً لمشاعر الإحباط بالتسلّل إلى ذاته.

يمتلك محارب الضوء ميزات الصخر.

لأنه عندما يكون في أرضٍ منبسطة يكون مستقراً، ويجد كل شيء من حوله متناغماً. يستطيع الناس أن يشيدوا بيوتهم بالاستناد إليه، لذلك لن تقوى العاصفة على تخريبها.

أما عندما يجد نفسه في منحدر، ولا تُظهر الأشياء من حوله التوازن أو الاحترام، فإنه يُظهر قوته عند هذه النقطة، فيندفع نحو العدو الذي يهدّد سلامه. يتحوّل المحارب في لحظاتٍ كهذه إلى قوةٍ مدمرة، ولن يقوى أي شخصٍ على إيقافه.

يفكّر محارب الضوء في الحرب والسلام، ويعرف أفضل طريقةٍ للتحرك بحسب مقتضيات الظروف.

إن محارب الضوء الذي يُفرط كثيراً في الثقة بذكائه سينتهي به الأمر إلى التقليل من قوة خصمه.

لكن من المهم جداً أن لا ننسى أن القوة تمتلك، في بعض الأحيان، فعاليةً أكبر من الإستراتيجية.

تستغرق حفلة مصارعة الثيران خمس عشرة دقيقة، لكن الثور سرعان ما يعرف بأنه تعرّض للخداع، لذلك يختار أن تكون خطوته التالية هي مهاجمة مصارع الثيران. لا ينفع، في هذه اللحظة بالذات، أي قدرٍ من التألق، أو الجدال، أو الذكاء، أو التعاويذ، في تجنب الكارثة.

هذا هو السبب الذي يدفع محارب الضوء إلى التقليل من قيمة القوة العمياء. وعندما تكشف هذه القوة عن وحشيتها، يعمد المحارب إلى الإنسحاب من ميدان المعركة حتى يُجهد العدو نفسه.

يعرف محارب الضوء الوقت الذي يكون العدو أقوى منه.

أما إذا قرّر أن يواجهه، فإنه سيلقى الهزيمة على الفور. وإذا ما قرّر الإستجابة إلى الإستفزازات، فسيقع في المصيدة. وهذا هو السبب الذي يجعل المحارب يستخدم الديبلوماسية كي يجد حلاً لموقفٍ صعب وقع فيه. أما عندما يتصرّف العدو مثل الأطفال، فإنه يتصرّف بالمثل، لكن عندما يدعوه الخصم إلى القتال، فإنه يتظاهر بأنه لم يفهم.

ويقول أصدقاؤه عنه: «إنه جبان».

لكن المحارب لا يكترث لذلك، لأنه يعرف أن غضب عصفور صغير وشجاعته لا تجديان نفعاً مع الهرة.

يبقى المحارب صبوراً في حالاتٍ كهذه، أما العدو فسرعان ما ينصرف بحثاً عن أشخاصٍ آخرين كي يستفزّهم.

لا يقف محارب الضوء على الحياد، أبداً، تجاه الظلم.

إنه يعرف أن الكل واحد، وأن تصرّف كل فردٍ يؤثر على كل شخصٍ آخر في هذا الكوكب. وهذا هو السبب الذي يدفعه إلى استخدام سيفه من أجل استعادة النظام عندما يلاحظ معاناة الآخرين.

لكنه لا يحاول، في أي لحظةٍ من اللحظات، أن يحكم على الظالم مع أنه يحارب ضد الظلم. إن كل شخصٍ سوف يُسأل عن أعماله أمام الله، لذلك يمتنع المحارب عن إصدار أي تعليق إضافي ما إن يفرغ من مهمته.

يتواجد محارب الضوء في هذا العالم كي يساعد رفيقه الإنسان، وليس لكي يدين جاره.

لا يتصرف محارب الضوء بطريقة جبانةٍ أبداً.

قد يكون الفرار صيغة ممتازة للدفاع، لكن لا يُمكن استخدام هذه الصيغة عندما يكون المرء خائفاً. يفضّل المحارب، عندما يكون في حالة من الشك، أن يواجه الهزيمة على أن يلعق جراحه، لأنه يعرف أنه إذا هرب يكون بذلك قد منح المعتدي قوةً أكبر مما يستحق.

يواجه المحارب في الأوقات الصعبة والمؤلمة احتمالاتٍ هائلة مع البطولة، وعدم الاكتراث، والشجاعة.

لا يكون محارب الضوء، أبداً، في عجلةٍ من أمره.

ولأن الوقت يعمل في صالحه فهو يتعلم السيطرة على نفاد الصبر، ويتجنب التصرّف من دون التفكير.

أما عندما يمشي ببطء فهو يعزّز خطواته الثابتة. يعرف المحارب أنه يشارك في لحظةٍ حاسمةٍ في تاريخ الإنسانية، ويتوجب عليه تغيير ذاته قبل أن يقدر على تغيير العالم. وهذا هو سبب تذكره كلمات لانزا ديل فاستو: «تستغرق الثورة وقتاً قبل أن تستقر».

يتجنب المحارب قطف ثمرةٍ قبل نضوجها.

يحتاج محارب الضوء إلى الصبر والسرعة في الوقت ذاته.

إن أسوأ غلطتين استراتيجيتين يمكن أن يقترفهما المحارب هما التحرك قبل الأوان، والسماح للفرصة بالإفلات. وإذا ما أراد المحارب أن يتجنّب هذا الوضع، فسيتوجب عليه أن يتعامل مع كل وضعٍ على أساس أنه فريدٌ من نوعه، ولذلك فهو لا يلجأ أبداً إلى المعادلات، والوصفات، وآراء الناس الآخرين.

طرح الخليفة معاوية سؤالاً على عمرو بن العاص حول سر المهارات السياسية العظيمة التي يتمتع بها.

جاء الرد على النحو التالي: «إنني لا أورّط نفسي أبداً في أمرٍ ما قبل أن أضع خطط الإنسحاب منه، كما أنني لا أضع نفسي أبداً في موقفٍ ما، ثمّ أرغب في الانسحاب منه على الفور».

لا يشعر محارب الضوء بالإحباط أبداً.

إنه يؤمن أن شيئاً لا يمكنه أن يحرّك فيه العواطف التي يرغب فيها كثيراً. يُجبَر المحارب على تمضية أمسيات وليالي عديدة وسط شعورٍ غامرٍ بأنه واحد من المهزومين، وأن شيئاً لا يمكنه إعادة الحماس إليه.

يقول أصدقاؤه: «يبدو أن حربه قد انتهت».

يشعر المحارب بالألم والإضطراب عندما يسمع ملاحظاتٍ كهذه، ويعرف أنه لم يصل بعد إلى المكان الذي يود أن يصل إليه. يرفض المحارب التخلي عن أهدافه لأنه عنيد.

ويُفتح بابٌ جديد أمامه في وقتٍ لا يتوقعه أبداً.

يُبعد محارب الضوء كل مشاعر الكراهية عن قلبه.

أما عندما يمضي إلى المعركة فهو يتذكر قول السيد المسيح: «أحبّوا أعداءكم»، ثم يطبِّقه.

لكنه يعرف أن فعل المسامحة لا يعني أنه ملزمٌ بتقبّل كل شيء على الدوام، لأن المحارب لا يحني رأسه، لأنه إذا فعل ذلك فلن يعود قادراً على رؤية أفق أحلامه.

إنه يتقبل حقيقة أن خصومه موجودون من أجل اختبار شجاعته، ومثابرته، بالإضافة إلى قدرته على اتخاذ القرارات. إنهم يجبرونه على الكفاح من أجل أحلامه.

إن تجربة المعركة تقوّي محارب الضوء.

يتذكّر المحارب الماضي.

إنه يدرك قضية الإنسان الروحية، كما يعرف أن هذه القضية الروحية هي التي أنتجت بعض أروع صفحات التاريخ.

وأنتجت كذلك بعض أسوأ فصوله: المجازر، والتضحيات، والظلامية. استُخدمت كل هذه من أجل غاياتٍ شخصية. يلاحظ المحارب أن أفكارها قد استُخدمت من أجل الدفاع عن نوايا فظيعة.

سمع المحارب أناساً يسألون: «وكيف أعرف أن الطريق الذي أسير عليه هو الطريق الصحيح؟» لكنه شاهد أشخاصاً عديدين يتخلون عن قضيتهم لأنهم لم يستطيعوا الإجابة عن ذلك السؤال.

لا يمتلك المحارب أيّ شكوك، لأنه يطبّق حكمةً مأثورةً عن السيد المسيح: «تعرفونهم من ثمارهم».

هذه هي القاعدة التي يتبعها، لذلك لا يخطئ أبداً.

يعرف محارب الضوء أهمية الإلهام.

إنه لا يمتلك الوقت، وسط المعركة، كي يفكّر بالضربات التي يوجهها خصمه إليه، لذلك يستخدم فطرته، ويطيع ملاكه.

أما في أوقات السلم فهو يحلّ رموز الإشارات التي يرسلها الله إليه.

يقول الناس: «إنه مجنون».

أو: «إنه يعيش في عالمٍ خيالي».

أو حتى: «كيف يمكنه أن يؤمن بأمورٍ غير منطقية كهذه؟»

لكن المحارب يعرف أن الإلهام هو ألفباء الله، لذلك يستمر في الإصغاء إلى الرياح، والتحدث إلى النجوم.

يجلس محارب الضوء حول نارٍ مع رفاقه.

يتحدثون عن معاركه، ويرحبون بكل الغرباء الذين ينضمون إلى مجموعتهم، لأن كل واحد منهم يفاخر بحياته، وبحربه السامية. يتحدث المحارب، بحماسٍ، عن طريقه، ويُخبر كيف أنه قاوم تحدياً معيناً، أو يتحدث عن حلٍ وجده لموقفٍ في غاية الصعوبة. لكنه حينما يروي قصصه فهو يتلفظ بكلماته بحماسةٍ ورومانسية.

يعمد المحارب، أحياناً، إلى المبالغة قليلاً، ويتذكر أن أجداده تعوّدوا المبالغة بدورهم.

ولهذا فهو يفعل الأمر ذاته. لكنه لا يخلط أبداً ما بين الاعتزاز والخيلاء، كما أنه لا يصدّق مبالغاته أبداً.

يسمع المحارب شخصاً ما يقول: «أريد أن أفهم كل شيء قبل أن أتمكن من اتخاذ قرارٍ ما. وأريد أن أحتفظ بحريتي في تغيير قراري».

يتأمل المحارب في هذه الكلمات بارتياب. إنه يستطيع أن يتمتع بهذه الحرية بدوره، لكن ذلك لا يمنعه من قطع تعهدٍ على نفسه، حتى ولو لم يكن يعرف السبب الذي دفعه كي يقطع هذا التعهد.

يتخذ محارب الضوء القرارات. إن روحه حرة مثل الغيوم التي تجول في السماء، لكنه ملتزمٌ بتحقيق حلمه. ويجد نفسه، وهو يسير في الطريق التي اختارها لنفسه، وقد نهض في وقتٍ أبكر من الوقت الذي اعتاد عليه، ويتحدث إلى الأشخاص الذين لا يتعلم منهم شيئاً، بالإضافة إلى تقديم بعض التضحيات.

يقول أصدقاؤه: «أنت لست حراً».

يمتلك المحارب حريته، لكنه يعرف أن الفرن المفتوح لا يُنضج خبزاً.

يتعيّن على المرء، قبل أن يلتزم بأي نشاط، أن يعرف ماذا يتوقع منه، وكيفية تحقيق غايته من هذا النشاط، وما إذا كان قادراً على إنجاز المهمة المقترحة أم لا.

«لا يتمكن إلا الشخص الذي تجهز بشكلٍ مناسب، والذي لا يشعر بشوقٍ في رؤية نتائج معركته ويبقى مع ذلك منغمساً في الكفاح، أن يقول بصدقٍ إنه لا يكترث بثمرة انتصاره.

«يستطيع الإنسان أن يتخلى عن ثمرة انتصاره، لكن ذلك التخلي لا يدل على عدم الاكتراث بالنتائج».

ينتبه محارب الضوء، بكل احترام، إلى استراتيجية غاندي. لكنه لا ينخدع بأولئك الذين يبشرون بالتخلي عن النتائج، وهم لا يستطيعون تحقيق أي نتائج بالمرة.

يعطي محارب الضوء انتباهاً كبيراً للأمور الصغيرة، لأن هذه الأمور الصغيرة تمتلك قدرةً كبيرة على عرقلة مساعيه.

لأنه يُمكن للشوكة، مهما بلغت من الصِغَر، أن توقف المسافر.

إن خلية صغيرة، وغير مرئية، تمتلك القدرة على تدمير نظام صحي سليم. وتسمح ذكرى لحظة خوفٍ صغيرة من الماضي للجبن أن ينبعث ثانيةً مع إطلالة كل صباح. ويفتح جزءٌ صغير من الثانية الطريق أمام العدو كي يوجّه ضربته القاضية.

ينتبه المحارب للأمور الصغيرة، كما يقسو على نفسه في بعض الأحيان، لكنه يفضّل أن يتحرك على طريقته.

يقول أحد الأمثال التقليدية القديمة: «يكمن الشيطان في التفاصيل».

لا يمتلك محارب الضوء الإيمان على الدوام.

تمر لحظات يشك فيها بكل شيء على الإطلاق. إنه يطرح هذا السؤال على قلبه: «هل يستأهل الأمر كل هذا الجهد؟»

لكن قلبه يظل صامتاً، لذلك يضطر المحارب إلى أن يقرّر بنفسه.

يبحث المحارب، بعدها، عن مثال، ويتذكر أن يسوع المسيح قد مرّ بحالةٍ مشابهة من أجل إصلاح البشر.

قال يسوع: «أبعِد هذه الكأس عني يا أبتاه». شعر السيّد بالإحباط، وفقدان الشجاعة بدوره، لكنه لم يتوقف.

يستمر محارب الضوء في سعيه بالرغم من فقدانه الإيمان. إنه يمضي قدماً، لذلك فإن إيمانه يعود إليه في النهاية.

يعرف محارب الضوء أن الإنسان ليس جزيرة.

ولا يستطيع الإنسان أن يحارب لوحده، لأنه مهما كانت خطته فهو يعتمد على الآخرين. إنه مضطر أن يناقش استراتيجيته، وأن يطلب المساعدة، وهو يحتاج - في لحظات استرخائه - إلى وجود شخصٍ ما كي يجلس معه قرب نار المدفأة، ويشاركه متعة رواية قصص معاركه.

لكنه لا يسمح للآخرين أن يخلطوا ما بين هذه الرفقة وبين عدم الأمان. إنه شفّاف في تحركاته، وكتوم بالنسبة إلى خططه.

يشارك محارب الضوء رفاقه الرقص، لكنه لا يلقي مسؤولية أعماله على أي شخصٍ آخر.

يرتاح المحارب في الفترات الفاصلة ما بين معاركه.

يُمضي المحارب أحياناً أياماً بكاملها من دون أن يفعل أي شيء، لأن هذا ما يطالبه به قلبه، لكن إلهامه يبقى مستيقظاً. ولا يرتكب المحارب الخطيئة الكبرى، أي الكسل، لأنه يعرف إلى أين يُمكن أن يؤدي: أي إلى مساءات أيام الآحاد الدافئة والرتيبة حيث يمر الوقت بكل بساطة.

يُطلق المحارب اسم سلام المقابر على هذا الوضع. إنه يتذكر قولاً في سفر الرؤيا [الإصحاح الثالث] جاء فيه: «أنا عارفٌ أعمالك، إنك لست بارداً ولا حاراً... هكذا لأنك فاتر، ولست بارداً، ولا حاراً أنا مزمع أن أتقيأك من فمي».

يأخذ المحارب فتراتٍ من الراحة والضحك، لكنه يقِظٌ على الدوام.

يعرف محارب الضوء أن كل شخصٍ يخاف من كل شخصٍ آخر.

يتجسد الخوف، عموماً، في طريقتين: إما عن طريق العدوان، وإما عن طريق الإستسلام، وهما وجهان مختلفان لمشكلةٍ واحدة.

وهذا هو السبب الذي يدفع المحارب لأن يتذكّر عندما يجد نفسه أمام شخصٍ يثير فيه الرعب، بأن الشخص الآخر يمتلك المخاوف ذاتها التي تواجهه. تمكّن المحارب من اجتياز عقباتٍ مشابهة من قبل، كما وقع بالمشاكل ذاتها.

لكنه يعرف كيفية معالجة الوضع بطريقةٍ أفضل. لماذا؟ لأنه يستخدم الخوف باعتباره محركاً، وليس باعتباره كابحاً.

يتعلّم المحارب من خصمه، ويتصرّف بطريقة مماثلة.

لا يوجد شيء اسمه حبّ مستحيل بالنسبة إلى محارب الضوء.

والمحارب لا يرهبه الصمت، وعدم الاكتراث، أو الرفض. يعرف المحارب أن قلباً من النار ينبض وراء كل قناعٍ جليدي يختبئ الناس خلفه.

وهذا هو السبب الذي يدفع المحارب إلى أخذ مخاطرات أكثر من غيره من الناس. إنه يسعى دوماً للحصول على حبّ شخص ما، حتى ولو كان ذلك يعني سماع كلمة «لا»، والعودة مهزوماً إلى المنزل، والشعور بالرفض جسدياً وروحياً.

لا يستسلم المحارب للخوف خلال بحثه عن الأمور التي يحتاجها. يعرف أنه لا شيء من دون الحب.

يعرف محارب الضوء الصمت الذي يسبق معركةً هامة.

يبدو له وكأن لسان حال الصمت يقول: «لقد توقفت الأمور. لماذا لا تنسَ أمر القتال، وتمتّع نفسك قليلاً». يُلقي المحاربون الذين يفتقدون للخبرة بأسلحتهم عند هذا الحد، ويتذمرون من الضجر.

أما المحارب فهو يُصغي بانتباهٍ إلى ذلك الصمت، ويدرك أن أمراً ما يحدث في مكانٍ ما. إنه يعرف أن الهزات الأرضية المدمرة تحدث من دون تحذير. سبق للمحارب أن سار من خلال الغابات في الليل، لذلك يعرف أن الخطر يكون قريباً جداً عندما تصمت الحيوانات.

يدرّب المحارب نفسه على استخدام السيف، ويُبقي عينيه مفتوحتين على الأفق، بينما يكون الآخرون مشغولين بالكلام.

إن محارب الضوء هو رجل مؤمن.

ولأنه يؤمن بالمعجزات، تبدأ المعجزات بالحدوث. ولأنه متأكد من أن أفكاره يمكنها أن تغيّر حياته، لذلك تبدأ حياته بالتغيّر. ولأنه متأكد من أنه سوف يلاقي الحب، لذلك يلاقيه بالفعل.

يشعر المحارب بالإحباط بين الحين والآخر، لكنه يتأذى في بعض الأحيان.

يسمع، بعد ذلك، الناس وهم يقولون: «إنه في غاية البراءة!»

لكن المحارب يعرف أن صبره مبرّر، لأنه مقابل كل هزيمة يكتسب انتصارين لصالحه.

يعرف المؤمنون هذه الحقيقة جيداً.

تعلّم محارب الضوء أن من الأفضل أن يتبع الضوء.

سبق له أن تصرّف بطريقة خطرة، وسبق له أن كذب، وتاه عن الطريق. واحتضن أفكارا ظلامية. بدا كل شيء على ما يرام، وكأن شيئا لم يحدث.

تنفتح هاوية على حين غرة، لكنك تستطيع أن تخطو آلاف الخطوات في طريق الخلاص، إلا أن خطوة واحدة تدفع بالكثيرين كي يضعوا نهاية لكل شيء. يتوقف المحارب قبل أن يدمّر نفسه.

إنه يسمع، عندما يتخذ قرارا، أربعة تعليقات: «إنك تقدم، دائماً، على الأمر الخطأ. إنك أكبر سناً من أن تتمكن من إحداث تغيير. إنك رجلٌ سيّئ. أنت لا تستأهل هذا الأمر».

يتطلع إلى فوق، نحو السماء. يسمع صوتاً يقول: «كل شخص، يا عزيزي، يقترف الأخطاء، لذلك نلت المسامحة، لكني لا أستطيع أن أطبّق هذه المسامحة عليك. إنه خيارك أنت».

يتقبل محارب الضوء هذه المسامحة.

يحاول محارب الضوء تحسين مستواه على الدوام.

لأن كل ضربةٍ من سيفه تحمل معها قروناً من الحكمة والتأمل. تحتاج كل ضربة إلى القوة وإلى مهارة كل المحاربين الذين عاشوا في الماضي، والذين يستمرون، حتى في هذه الأيام، في مباركة الصراع. تكرّم كل حركة تجري خلال المعركة الحركات التي حاولت الأجيال السابقة نقلها من خلال التقليد.

يطوّر المحارب جمال ضرباته.

إن محارب الضوء هو شخصّ موثوقٌ به.

إنه يقترف أخطاءً قليلة، لأنه يعتقد، أحياناً، أنه أكثر أهمية مما هو في الحقيقة، لكنه لا يكذب.

عندما يتحلق الناس حول نيران المدفأة يتحدث إلى أصدقائه، ذكوراً وإناثاً. يدرك المحارب أن كلماته مختزنة في ذاكرة الكون، وكأنها تشهد على أفكاره.

ويسأل المحارب نفسه: «لماذا أتكلم كثيراً في الوقت الذي أعجز فيه عن تنفيذ كل ما أقوله؟»

يردّ قلبه عليه: «عندما تدافع عن أفكارك أمام الناس، فإن ذلك يلزمك أن تعيش بحسب هذه الأفكار».

ولأن المحارب يؤمن بأنه على مثال ما يقوله، لذلك ينتهي به الأمر لأن يكون كذلك بالضبط.

يعرف المحارب ان فترات من التوقف تتخلّل كفاحه بين وقتٍ واخر.

ويعرف أنه لا فائدة من فرض الأمور، لأنه من الأفضل له أن يتمتع بالصبر، وأن ينتظر بداية الصدام مجدداً ما بين الطرفين. أما حين يجد نفسه وسط صمت ميدان المعركة، فهو يُصغي إلى ضربات قلبه.

يلاحظ المحارب أنه متوتر، وأنه خائف.

يجلس المحارب كي يأخذ جردةً بأوضاع حياته. إنه يتأكد من أن سيفه ماضٍ، وأن قلبه راضٍ، وأن إيمانه ما زال حاراً في روحه. يعرف أن الدعم يحمل الأهمية ذاتها التي يحملها الفعل.

يوجد، دائماً، أمرٌ ما ليس على ما يرام، لكن المحارب يستفيد من لحظات توقف زمن الصراع كي يجهز نفسه بطريقةٍ أفضل.

يعرف المحارب أن ملاكاً وشيطاناً يتنافسان في السيطرة على يده التي تحمل السيف.

يقول الشيطان: «سوف تضعف، لكنك لن تعرف متى يحدث ذلك بالضبط. أنت خائف». ويقول الملاك: «سوف تضعف، لكنك لن تعرف متى يحدث ذلك بالضبط. أنت خائف».

يُذهل المحارب، لأن كلا الملاك والشيطان قالا الكلمات ذاتها.

يمضي الشيطان بالقول بعد ذلك: «دعني أساعدك». ويقول الملاك: «سوف أساعدك».

يفهم المحارب الفرق في تلك اللحظة بالذات. قد تكون الكلمات هي ذاتها، لكن هذين الحليفين مختلفان كلياً.

يختار المحارب، في النهاية، يد الملاك.

يستخدم المحارب سيفه في أي وقتٍ يقوم بإشهاره.

يمكن للمرء أن يستخدم السيف كي ينظّف طريقاً ما، أو من أجل مساعدة أحدهم، أو كي يدرأ خطراً ما، لكن السيف أداةٌ غامضة، ولا يحب أن يرى نصله يُشهر من دون سببٍ وجيه.

وهذا هو السبب الذي يمتنع المحارب لأجله عن إطلاق التهديدات. يستطيع المحارب أن يهاجم، وأن يدافع عن نفسه، أو أن يهرب، لأن كل هذه المواقف تشكّل جزءاً من المعركة. لكن التقليل من قوة الضربة، بالتحدث عنها، ليس جزءاً من المعركة.

ينتبه محارب الضوء، على الدوام، لحركة سيفه. لكنه أبداً لا ينسى أن السيف يراقب، بدوره، كل حركةٍ من حركاته.

لم يُصنع السيف كي يكون رهن إشارة الفم.

يلاحق الشر، في بعض الأحيان، محارب الضوء، وعندما يفعل ذلك فإنه يدعوه، بهدوء، إلى خيمته.

ويسأل الشرّ: «هل تريد أن تؤذيني، أم ترغب في استخدامي من أجل إنزال الأذية بالآخرين؟»

يتظاهر الشرُّ أنه لم يسمع. يقول إنه يعرف الظلمة الكامنة في روح المحارب، ويلمس الجروح التي لم تلتئم، ثم ينادي بالثأر. يذكر بعد ذلك حيَلاً بعينها، وسموماً خفيةً تساعده على تدمير أعدائه.

يُصغي محارب الضوء جيداً، وعندما تخفت المحادثة فإنه يحثّ الشر على متابعة الحديث، ويطلب منه التحدث عن خططه المتعددة.

عندما ينتهي المحارب من سماع كل شيء فإنه ينهض ويغادر المكان. ويشعر الشر بالإجهاد وبالفراغ بعد كل هذا الحديث، لذلك يعجز عن اللحاق بالمحارب.

يتَّخذ المحارب، من دون قصد، خطوة خاطئة، ثم ما يلبث أن يهبط في هاوية.

تخيفه الأشباح، وتعذّبه الوحدة. يبقى هدفه في خوض قتال نزيه. لم يتصوّر قط أن هذا سيحدث معه، لكنه يحدث. يقيم المحارب، وسط الظلمة التي تحيط به، إتصالاً مع معلّمه.

يقول له: «أيها المعلّم، لقد وقعت في هاوية، والمياه عميقة ومظلمة».

يردّ عليه معلّمه: «تذكّر أمراً واحداً. إنك لا تغرق بمجرد غطسك في المياه، لكنك تغرق، فقط، حينما تبقى تحت سطحها».

يستخدم المحارب كل قوته كي يتخلص من مأزقه.

يتصرّف محارب الضوء مثل الأطفال في بعض الأحيان.

يشعر الناس بالصدمة لأنهم تناسوا أن الطفل يحتاج إلى المرح واللعب، وإلى التخلي عن وقاره قليلاً. يحتاج الطفل أيضاً إلى طرح أسئلة طفولية ومحرجة، ويحتاج للتحدث عن سخافاتٍ لا يؤمن بها.

يقولون بذعر: «إذاً، هذا هو الطريق الروحي، أليس كذلك؟ إنه غير ناضجٍ بالمرة!»

يشعر المحارب بالفخر عند سماعه هذه التعليقات. لكنه يبقى على اتصاله مع الله عبر براءته وفرحه، ومن دون أن تغيب رسالته عن أنظاره.

يكشف الجذر اللاتيني لكلمة «مسؤولية» معناها الحقيقي: القدرة على الرد، والتفاعل.

إن المحارب المسؤول هو ذلك الشخص الذي برهن عن قدرته على الملاحظة والتعلّم. إنه يُظهر قدرته حتى على أن يكون «غير مسؤول». يسمح المحارب لنفسه، في بعض الأحيان، أن ينجرف مع وضعٍ ما من دون أن يردّ، أو يتفاعل.

لكنه يتعلم درسه على الدوام. أخذ موقفاً، وأصغى إلى النصيحة، وكان متواضعاً بما يكفي كي يقبل المساعدة.

إن المحارب المسؤول ليس ذلك الشخص الذي يحمل أثقال العالم على كتفيه، لكنه ذلك الشخص الذي تعلّم كيفية مواجهة تحديات اللحظة.

لا يستطيع محارب الضوء أن يختار، دائماً، ميدان معركته.

لأنه يؤخذ على حين غرة، في بعض الأحيان، وسط معاركه والتي لم يكن هو من اختارها. لكن الفرار ليس حلاً، لأنه، وببساطة، ستلاحقه هذه المعارك.

يعمد المحارب، عند هذه النقطة، إلى التحدث مع خصمه عندما يبدو النزاع محتماً. لا يُظهر المحارب هنا الخوف ولا الجبن، لأنه يحاول أن يعرف سبب رغبة الرجل الآخر بالقتال، وما هو السبب الذي دفعه إلى ترك قريته كي يبحث عنه ويبارزه. يُقنع المحارب خصمه، ومن دون استلال سيفه، بأن هذه المعركة ليست معركته.

يُصغي محارب الضوء إلى ما يقوله خصمه، ولذلك لا يحارب إلا إذا كان ذلك ضرورياً وحتمياً.

يشعر محارب الضوء بالرعب عندما يصل الأمر إلى إتخاذ قرارات مهمة.

يقول صديقٌ مقرّب منه: «هذا كثيرٌ جداً عليك». ويقول صديقٌ اخر: «هيا، كن شجاعاً». لكن ذلك يزيد من شكوكه.

ينسحب المحارب إلى زاوية خيمته، حيث اعتاد أن يتأمل ويصلي، بعد تمضيته أياماً عدة في حالةٍ من القلق. إنه يرى نفسه في المستقبل. إنه يشاهد الناس الذين سوف يستفيدون من موقفه، وأولئك الذين سوف يصيبهم الأذى منه. إنه لا يرغب بالتسبب في معاناة لا لزوم لها، لكنه لا يرغب في التخلي عن طريقه.

يسمح المحارب لقراره أن ينكشف.

وإذا كان مضطراً لقول «نعم»، فهو سيقولها بكل جرأة. أما إذا كان مضطراً لقول «لا»، فهو سوف يقولها من دون أي أثرٍ للجبن.

يتقبّل محارب الضوء أسطورته الشخصية بأكملها.

يقول رفاقه: «إنه يمتلك إيماناً رائعاً!»

يشعر المحارب، للحظةٍ وجيزة، بالفخر، ثم يشعر على الفور بالخجل لما سمعه، لأنه لا يمتلك القدر ذاته من الإيمان بمثل ما يبدو عليه.

يهمس له ملاكه في تلك اللحظة بالذات: «لستَ إلا أداةً للنور، لذلك ليس هناك من سببٍ يدعوك للفخر أو للشعور بالذنب. توجد فقط أسباب تدفعك إلى الشعور بالسعادة».

يشعر محارب الضوء بهدوءٍ وأمانٍ أكبر، لأنه بات يعرف الآن أنه ليس سوى أداة.

يقول مارك هالتر: «قد يكون هتلر خسر الحرب في ميادين المعارك، لكنه حقّق أموراً محددةً في النهاية، لأن إنسان القرن العشرين أنشأ معسكرات الاعتقال الجماعي، وعاد إلى ممارسة التعذيب، وعلّم مواطنيه أن بإمكانهم إغماض أعينهم أمام مآسي الآخرين».

يُحتمل أن يكون هالتر على حق بسبب وجود أطفال متروكين، ومدنيين يتعرضون للقتل، وأشخاص أبرياء في السجن، وأشخاص مسنّين وحيدين، وسكّيرين في الحضيض، وأشخاص مجانين في السلطة.

لكن لعله، في النهاية، ليس على حق أبداً، لأنه يوجد محاربو ضوء أيضاً.

لا يقبل محاربو الضوء أبداً بما هو غير مقبول.

لا ينسى محارب الضوء أبداً القول المأثور: لا تعمد العنزة الصغيرة إلى الثغاء.

يمتلئ العالم بالمظالم، لذلك يجد الجميع أنفسهم في مواقف لا يستحقونها. يحدث هذا عادةً لأنهم يعجزون عن الدفاع عن أنفسهم. تطرق الهزيمة أبواب المحارب أكثر من مرة.

يبقى المحارب صامتاً في أوقاتٍ كهذه. إنه لا يضيع طاقته في التلفظ بالكلمات، لأنها تعجز عن فعل أي شيء، كما أنه من الأفضل له أن يستخدم قوته كي يقاوم ويتحلى بالصبر. إنه يعرف أن الواحد يراقبه. يشاهد الواحد تلك المعاناة غير الضرورية، لذلك لن يسمح بها.

يعطي الواحد ذلك المحارب الأمر الذي يحتاجه أكثر من غيره: الوقت. سيعمل كل شيء لصالحه آجلاً أم عاجلاً.

إن محارب الضوء هو رجل حكيم، لذلك لا يتحدث عن هزائمه.

قد لا يستمر السيف طويلاً، لكن يتوجب على محارب الضوء أن يفعل.

وهذا هو سبب عدم سماحه لنفسه بالانخداع بقدراته الذاتية، ولذلك نراه يتجنب أن يؤخذ على حين غرة. إنه يعطي كل شيء القيمة التي يستحقها.

يحدث عادة، وعندما يتأمل المحارب في قضايا خطرة، أن يهمس الشيطان في أذنه: «لا تقلق بشأنها، لأنها ليست مهمة».

أما في أوقاتٍ أخرى، أي عندما يواجه أموراً عادية، فإن الشيطان يقول له: يتعيّن عليك أن تصبّ كل طاقاتك في حل هذه القضية».

لكن المحارب لا يصغي إلى ما يقوله الشيطان، لأنه سيّد سيفه.

يبقى محارب الضوء يقظاً على الدوام.

إنه لا يطلب إذناً من أحد كي يستخدم سيفه، لإنه يتناوله، ببساطة، ويمسك به بيديه. إنه لا يضيع وقته في تفسير تحركاته، لكنه يعطي، وبسبب التزامه بقرارات الله، جوابه في أفعاله.

إنه يتطلع حوله، ويتعرّف إلى وجود أصدقائه. إنه يتطلع خلفه ويتعرّف إلى وجود خصومه. لا يتسامح مع الخيانة، لكنه لا يسعى للثأر، كما أنه يكتفي باستبعاد أعدائه في الحياة، ولا يستمر في محاربتهم وقتاً أطول مما ينبغي.

لا يحاول المحارب أن يتراءى، لأنه موجود.

لا يرافق محارب الضوء أولئك الذين يتمنون إيذاءه. كما أن أحداً لا يراه برفقة أولئك الذين يريدون أن يواسوه.

إنه يتجنّب كل شخصٍ لا يقف إلى جانبه إلا في حالة تعرضه للهزيمة: إن هؤلاء الأصدقاء المزيفين يريدون أن يُثبتوا له أن الضعف يحمل مكافآته معه. إنهم يأتونه بالأخبار السيئة على الدوام. إنهم يحاولون تدمير ثقة محارب الضوء، وكل ذلك تحت ستار «التضامن».

يذرف الأصدقاء المزيفون الدموع عندما يرونه مجروحاً، لكنهم في أعماق أعماقهم يشعرون بالسعادة لأن المحارب قد خسر معركة. إنهم لا يفهمون أن هذه الخسارة هي جزء من الصراع.

أما الرفاق الحقيقيون للمحارب فهم يقفون إلى جانبه على الدوام، أي خلال الأوقات الصعبة والأوقات المريحة على السواء.

صرّح محارب الضوء في بداية صراعه بالقول: «إنني أمتلك أحلاماً».

يدرك المحارب بعد مرور سنوات عدة أنه من الممكن فعلاً أن يصل إلى هدفه، ويعرف أن مسعاه سوف يتكلل بالنجاح.

يشعر المحارب بالحزن في تلك اللحظة بالذات. إنه يدرك تعاسة الآخرين، ويدرك الوحدة والإحباط اللذين يعيش كثير من البشر في ظلّهما، كما أنه لا يؤمن أنه يستحق ما ينتظره.

يهمس ملاكه في أذنه: «تخلَّ عن كل شيء». يركع المحارب، ويقدم كل انتصاراته إلى الله.

يُجبر فعل التخلي المحارب على التوقف عن طرح أسئلة سخيفة، ويساعده في التغلب على مشاعر الذنب التي يمتلكها.

يمتشق محارب الضوء السيف بيديه.

إنه الشخص الوحيد الذي يقرر الأمور التي سوف يُقدم عليها، وتلك التي لن يُقدم عليها أبداً.

توجد أوقات تقوده الحياة فيها كي يواجه أزمة، كما أنه يُفصَل عن الأمور التي أحبّها على الدوام. إنه الوقت المناسب للتأمل بالنسبة للمحارب، وللتأكد من أنه ينفذ إرادة الله، أو أنه يتصرّف بأنانية تامة. يقبل المحارب هذا الانفصال إذا كان جزءاً من طريقه بالفعل، ثم يقبله من دون تذمر.

لكن إذا نتج هذا الإنفصال عن تصرفات خاطئة أقدم عليها شخص آخر، فعندها سيكون متصلباً في ردّه.

يمتلك المحارب عنصرَي القوة والمسامحة معاً، لذلك يتمكّن من استخدامهما بمهارة متساوية.

لا يقع محارب الضوء في مصيدة تلك الكلمة «حرية».

تأخذ الحرية مفهوماً شديد الوضوح عندما يتعرض شعب المحارب إلى الإضطهاد. يحارب المحارب، في أوقات كهذه، وما بقيت فيه أنفاس الحياة، مستخدماً السيف والدرع. يسهل علينا فهم الحرية إذا ما قورنت مع الإضطهاد: إنها نقيض العبودية.

لكن المحارب يسمع أحياناً أشخاصاً مسنّين وهم يقولون: «عندما أتوقف عن العمل سأكون حراً». لكنه يسمع الأشخاص أنفسهم يتذمرون بعد مرور عامٍ من الزمن ويقولون: «ليست الحياة إلا روتيناً مملاً». يصعب علينا فهم الحرية في هذه الحالة: إنها تعني افتقاد المعنى.

يحافظ محارب الضوء على التزامه على الدوام. إنه عبدٌ لحلمه، لكنه حرّ التصرّف.

لا يكرّر محارب الضوء خوض النضال ذاته باستمرار، وعلى الأخص عندما يغيب التقدم أو الانسحاب.

يعرف المحارب، إذا لم تحقق المعركة تقدماً، أنه يتعيّن عليه أن يجلس قليلاً مع العدو كي يتفاوض معه على عقد هدنة. مارس الطرفان فنون السيف، لذلك يحتاجان الآن إلى فهم أحدهما الآخر.

إنها بادرة تدعو للاحترام، وليست بادرةً جبانة، كما أنها تُعتبر توازناً للقوة، وتغييراً للاستراتيجية.

يعود المحاربون إلى منازلهم ما إن تحدد خطط السلام. إنهم ليسوا مضطرين للبرهنة على أي شيء أمام أي شخص، لأنهم خاضوا حرباً نبيلة، وحافظوا على إيمانهم. تنازل كل طرفٍ عن القليل، فتمكنوا، هكذا، من تعلم فن التفاوض.

يطرح أصدقاء محارب الضوء سؤالاً حول المصدر الذي يستمد طاقته منه. يقول لهم: «أستمدها من العدو غير المنظور».

يسأله أصدقاؤه عن هوية هذا العدو.

يرد المحارب: «إنه الشخص الذي نعجز عن إنزال الأذى به في الوقت الحاضر».

يُحتمل أن يكون هذا الشخص ولداً ضرب المحارب أيام الشجارات التي كان يخوضها في أيام صباه، أو صديقةً تركته عندما كان بعمر الحادية عشرة، أو معلماً وصفه بالغباء. يذكّر المحارب نفسه، عندما يكون متعباً، أن هؤلاء الأعداء لم يلمسوا جرأته بعد.

إنه لا يفكّر بالثأر، لأن ذلك العدو غير المنظور لم يعد جزءاً من قصة حياته. إنه لا يفكّر إلا في تحسين مستوى مهاراته حتى تنتشر أخبار أعماله في أنحاء العالم، بحيث تصل إلى أسماع أولئك الذين ألحقوا الأذى به في الماضي.

يستمد محارب الضوء قوته من الألم الذي لحق به في الماضي.

يمتلك محارب الضوء، على الدوام، فرصةً ثانية في الحياة.

وُلد المحارب، مثله مثل بقية الرجال والنساء الآخرين، من دون أن يعرف كيفية استخدام سيفه. اقترف المحارب أخطاءً عديدة قبل أن يكتشف أسطورته الشخصية.

لا يستطيع أي محارب ضوء أن يجلس قرب نيران المدفأة ويقول للآخرين: «فعلت الأمر الصائب على الدوام». يكذب أي شخصٍ يتفوّه بكلام كهذا، لأنه لم يتعلّم بعد أن يعرف نفسه. إن محاربِ ضوء الحقيقي لا بد وأن يكون اقترف بعض المظالم في الماضي.

لكنه ما إن يمضي في رحلته حتى يدرك أن الناس الذين لم يتصرّف تجاههم بطريقة سليمة سيمرون في طريقه مرةً ثانية.

يمتلك محارب ضوء فرصة تصحيح الخطأ الذي اقترفه في حقهم، وهو ينتهز، دوماً، هذه الفرصة من دون تردد.

يتمتع المحارب بالحكمة التي يمتلكها الثعبان، وبالبراءة التي تميّز الحمامة.

يمتنع المحارب عن إطلاق أحكامه على سلوك الآخرين عندما يجتمع الناس كي يتحدثوا، لأنه يعرف أن الظلمة تستخدم شبكةً غير منظورة كي تنشر الشر. تلتقط هذه الشبكة شذراتٍ من المعلومات التي تطوف في الأجواء، وتحولها إلى مؤامرة وحسد يضايقان الروح البشرية.

تصل، بهذه الطريقة، كل الأمور التي تُقال عن شخصٍ ما، إلى أسماع أعداء ذلك الشخص، لكن بعد أن تُدمج فيها عناصر من السموم والأحقاد.

هذا هو السبب الذي من أجله يفترض محارب ضوء، عندما يتحدث عن آراء أخيه، أنه موجود هناك، ويصغي إلى كل كلمةٍ يقولها.

يقول كتاب صلوات فرسان القرون الوسطى:

«تستخدم الطاقة الروحية للطريق العدلَ والصبر من أجل تحضير روحك».

إنها طريق الفرسان، وهي الطريق التي هي سهلة وصعبة في الوقت ذاته، لأنها تُجبر المرء على استبعاد الأمور التافهة والصداقات العابرة. هذا هو السبب الذي يدفع بالكثيرين إلى التردد في اتباعها.

وهذه هي أولى تعاليم الفرسان: «سوف تمحو كل شيء كتبتَه في كتاب حياتك حتى هذه اللحظة: القلق، الشك، والأكاذيب. ستكتب كلمة واحدة مكان كل هذه الكلمات: الشجاعة. وإذا بدأتَ الرحلة مع تلك الكلمة، واستمريتَ بالإيمان بالله، فسوف تصل إلى أي مكانٍ تحتاج إلى الوصول إليه».

يتحضّر محارب الضوء لكل الإحتمالات عندما تقترب لحظة المعركة.

ويحلّل كل استراتيجية، ثم يسأل: «ماذا سأفعل إذا اضطررت للقتال بنفسي؟» يكتشف المحارب نقاط ضعفه بهذه الطريقة.

يقترب خصمه في تلك اللحظة، ويأتي مع حقيبةٍ مليئة بالوعود، والمعاهدات، والمفاوضات. إنه يمتلك اقتراحات مغرية وبدائل سهلة.

يحلّل المحارب كل اقتراح من هذه الاقتراحات. إنه يسعى، بدوره، إلى الإتفاق، لكن من دون أن يخسر كرامته أبداً. أما إذا تجنب المعركة فلن يكون ذلك بسبب تعرضه للإغراء، لكن لأنه اعتبر ذلك أفضل استراتيجية بالنسبة إليه.

لا يقبل محارب الضوء هدايا من عدوّه.

أريد هنا أن أكرر ما سبق أن أوردته:

يمكنك أن تميّز محارب الضوء من نظرة عينيه. يتواجد محاربو الضوء في هذا العالم، وهم يشكلون جزءاً من هذا العالم، كما أنهم أُرسلوا إلى هذا العالم من دون حقائب أو نعال. إنهم يتصرفون بجبنٍ في أحيان كثيرة، كما أنهم لا يتصرفون بطريقةٍ صحيحة على الدوام.

تجرح أتفه الأمور محاربي الضوء، ويقلقون بشأن تفاهات، كما يعتبرون أنفسهم غير قادرين على التطور. يعتبر محاربو الضوء، في بعض الأحيان، أنهم لا يستأهلون أي بركةٍ أو معجزة.

ولا يندر أن يسأل محاربو الضوء أنفسهم عما يفعلونه في هذا المكان، وهم عادةً يعتبرون أن حياتهم بلا معنى.

يفسّر هذا سبب إعتبارهم محاربي الضوء. لأنهم يفشلون، ولأنهم يطرحون أسئلة، ولأنهم لا يكفون عن البحث عن معنى، وهو الأمر الذي يجدونه في النهاية.

يستيقظ محارب الضوء من حلمه الآن.

إنه يفكّر: «لا أعرف كيفية التعامل مع هذا الضوء الذي يجعلني أكبر». لكن النور، رغم ذلك، لا يختفي.

يفكّر المحارب: «يتعيّن عليّ إحداث تغييرات لا أميل إلى إحداثها».

يبقى النور، لأن كلمة «أميلُ» هي كلمة مليئة بالمصائد.

يزداد، بعد ذلك، اعتياد عينَي المحارب وقلبه على النور. يكف النور عن إخافته، ويبدأ في قبول أسطورته الشخصية، حتى ولو كان ذلك يعني التعرض لمخاطر عدة.

بقي المحارب نائماً لوقتٍ طويل، لكن مسألة استيقاظه تدريجياً، وببطء، أصبحت مسألةً طبيعية.

يتجاهل المحارب المجرّب الإهانات، لأنه يعرف قوة قبضتيه، ودقة ضرباته.

وإذا ما واجهه خصمٌ يفتقد إلى الاستعداد، فإنه يتطلع عميقاً في عينيه، ويقهره من دون اللجوء إلى القتال الجسدي إطلاقاً.

تعلّم محارب الضوء من معلّمه الروحي أن نور الإيمان يشع في عينيه، ولذلك فهو لا يحتاج إلى أن يبرهن على أي شيء لأي شخص. إنه لا يكترث أبداً بحجج خصمه العدائية، والتي تقول إن الله هو مجرد خرافة، وإن المعجزات ما هي إلا خدعاً، وإن الإيمان بالملائكة ما هو إلا تجنّبٌ للواقع.

يدرك المحارب قوته الهائلة. لذلك فهو لا ينازل، أبداً، أي شخصٍ لا يستحق شرف النزال.

يتوجب على محارب الضوء أن يتذكر على الدوام القواعد الخمس للقتال، وهي القواعد التي وضعها شوان تسو منذ ثلاثة آلاف عام مضت.

الإيمان: يتوجب عليك، وقبل أن تبدأ معركتك، أن تؤمن بالأسباب التي تدعوك للقتال.

الرفاق: قم باختيار رفاقك، وتعلّم كيفية القتال مع هؤلاء الرفاق، لأن أحداً لا يربح، إطلاقاً، الحرب لوحده.

التوقيت: يختلف القتال في الشتاء عن القتال في الصيف. يحرص المحارب القدير على اختيار اللحظة المناسبة للبدء في القتال.

المجال: لا يجدر بالمرء أن يقاتل في ممرٍ جبلي بالطريقة ذاتها التي يقاتل بها في سهل. فكّر بما يحيط بك من طبيعة الأرض، وفي أنسب طريقة للتحرك فيها.

الاستراتيجية: إن أفضل المحاربين هو من يخطط لمعركته.

يندر أن يعرف المحارب النتيجة عند نهاية المعركة التي خاضها.

تكوّن أنشطة القتال قدراً كبيراً من الطاقة من حوله، وهناك دائماً لحظة تتساوى فيها حظوظ النصر والهزيمة. سيفصل الزمن مسألة من ربح ومن خسر، لكن المحارب يعرف أنه منذ تلك اللحظة فصاعداً لن يستطيع فعل أي شيء: إن مصير المعركة يقبع في يد الله.

لا يقلق المحارب، في تلك اللحظات، على النتائج. إنه يتفحص قلبه ويسأل: «هل قاتلتُ قتالاً نبيلاً؟» إذا كان الجواب «أجل»، فإنه سيشعر بالإطمئنان. أما إذا كان الجواب «لا»، فإنه يتناول سيفه ويبدأ بالتدرب من جديد.

يحمل كل محارب ضوء في أعماقه شعلة من الله.

وقدرُ المحارب أن يكون مع المحاربين الآخرين، لكنه يحتاج أحياناً إلى أن يتدرب على فنون القتال لوحده، وهذا هو السبب الذي يدفعه إلى التصرف مثل نجم عندما يكون بعيداً عن رفاقه.

يضيء المحارب الجزء الخاص به من الكون، كما يحاول أن يدل كل الذين يتطلعون إلى السماء على المجرات والعوالم.

لا يتأخر المحارب عن تلقي مكافأته. يقترب المحاربون تدريجياً، ثم يجتمعون كي يؤلفوا مجرّات، لكن كل مجرة تحتفظ برموزها، وألغازها، الخاصة بها.

يشعر المحارب أحياناً أنه يعيش حياتين في آنٍ واحد.

يضطر المحارب في إحداها إلى القيام بكل الأمور التي لا يرغب بالقيام بها، وإلى القتال من أجل أفكار لا يؤمن بها. لكنه يمتلك حياةً أخرى يكتشفها في أحلامه، وفي قراءاته، وفي احتكاكه مع الأشخاص الذين يشاطرونه أفكاره.

يسمح المحارب لحياتيه بالإقتراب، ويفكّر: «هناك جسرٌ يربط ما بين الأمور التي أقوم بها، وبين الأمور التي أرغب أن أقوم بها». تسيطر أحلامه، ببطء، على حياته اليومية، ثم يدرك أنه جاهز للأمور التي أرادها على الدوام.

لا يحتاج بعد ذلك إلا قدراً قليلاً من الجرأة قبل أن تتوحد الحياتان في حياةٍ واحدة.

دوِّن مجدداً ما أخبرتك به:

يحتاج محارب الضوء إلى وقتٍ لنفسه، وهو يستخدم ذلك الوقت للراحة، وللتأمل والإتصال مع روح العالم. ينجح المحارب في التأمل، حتى في وسط المعركة.

يجلس المحارب، أحياناً، ويسترخي، ويدع كل الأمور التي تحدث من حوله أن تحدث. إنه يتطلع إلى العالم كمشاهد، وهو لا يحاول أن يضيف إليه شيئاً، أو يأخذ منه شيئاً، إنه يستسلم، من دون مقاومة، إلى حركة الحياة.

بدا كل شيء معقداً في الماضي، لكنه ما يلبث أن يصبح، رويداً رويداً، في غاية البساطة. وعندها يشعر المحارب بالسرور.

يحذر محارب الضوء الأشخاص الذين يعتقدون أنهم يعرفون الطريق.

إنهم واثقون، دائماً، من قدرتهم على اتخاذ القرارات إلى درجة أنهم لا يلاحظون المفارقة التي تكتب بها الأقدار حياة كل شخص، وهم يشتكون دائماً عندما تدق الأقدار أبوابهم.

يمتلك المحارب أحلامه، وهي التي تدفعه قُدُماً. لكنه لا يقترف أبداً خطأ التفكير أن الطريق عريضة، والبوابة واسعة. إنه يعرف أن الكون يعمل بطريقة الخيمياء ذاتها: «ركّز طاقاتك وبدّدها بحسب الوضع».

"توجد أوقات تفرض على المرء أن يتحرك، وأوقات أخرى تفرض على المرء أن يتقبل." يعرف المحارب كيفية التمييز ما بين هذه الأوقات.

يكتشف محارب الضوء، ما إن يتعلّم كيفية استخدام سيفه، أن معداته ما تزال ناقصة، وإنه بحاجةٍ إلى درع.

ينطلق المحارب من أجل البحث عن هذا الدرع، ويصغي إلى نصائح بائعين عدة.

يقول له أحدهم: «استخدِم الوحدة درعاً للصدر».

ويقول له آخر: «استخدِم درع السخرية».

ويقول له بائع ثالث: «إن أفضل درعٍ هو عدم التورط في أي شيء».

يتجاهل المحارب، على أية حال، هؤلاء البائعين. إنه يتوجه، بهدوء، إلى مكانه المقدس، ويرتدي عباءة الإيمان الراسخة.

يصدّ الإيمان كل الضربات، لأنه يحوّل السم إلى ماءٍ صافٍ كالبلور.

يقول رفيقه: «إنني أصدّق، دائماً، كل شيء يقوله لي أيٌّ شخص، لكنني أصاب بالخيبة دوماً».

إنه لأمرٌ مهمٌ جداً أن نثق بالناس، ومحارب الضوء لا يخاف من خيبات الأمل لأنه يعرف قوة سيفه، وقوة حبه.

لكنه يضع حدوداً معينةً مع ذلك: إن قبولنا إشارات الله، ومعرفتنا أن الملائكة تستخدم أفواه الأشخاص الآخرين كي تعطينا النصائح هو شيء، وعجزنا عن اتخاذ القرارات، وبحثنا، على الدوام، عن طرق تسمح للآخرين بإخبارنا ما يتعيّن علينا فعله، هو شيء آخر.

يثق محارب الضوء بالآخرين لأنه يثق بنفسه، أولاً وقبل كل شيء.

ينظر محارب الضوء إلى الحياة برقةٍ وتصميم.

إنه يقف أمام لغزٍ سيجد له حلاً في يومٍ من الأيام. إنه يقول في نفسه مراراً: «هذه الحياة مجنونة تماماً».

إنه على حق، لأنه بسبب استسلامه لمعجزة كل يوم يلاحظ أنه لا يستطيع، على الدوام، أن يتوقع نتائج أعماله. إنه يتحرك أحياناً من دون أن يلاحظ بأنه يتحرك، وينقذ شخصاً ما من دون أن يعرف أنه ينقذه، ويتألم أحياناً أخرى حتى من دون أن يعرف السبب الذي جعله حزيناً.

أجل، الحياة مجنونة. لكن الحكمة العظيمة عند محارب الضوء تكمن في اختياره لجنونه بطريقةٍ حكيمة.

يتفحص محارب الضوء جهتَي الباب الذي يحاول أن يفتحه.

تدعى إحدى الجهتين الخوف، وتدعى الثانية الرغبة. يتطلع المحارب إلى جهة الخوف ويقرأ ما كُتب عليها: «إنك داخلٌ الآن إلى عالمٍ خطرٍ، وغريب، لكنك سوف تتيقن من أن كل شيء تعلمته حتى الآن غير مفيد».

يتطلع المحارب إلى جهة الرغبة ويقرأ ما كُتب عليها: «أنت على وشك مغادرة عالمٍ مألوفٍ لديك يختزن في أعماقه كل الأشياء التي أردتَها، والتي ناضلتَ جاهداً من أجل تحقيقها زمناً طويلاً».

يبتسم المحارب لأن شيئاً لا يخيفه، ولا شيء يقف في طريقه، ويمضي، متسلحاً بالثقة التي يتمتع بها الشخص الذي يعرف ماذا يريد، ويفتح الباب.

يمارس محارب الضوء تمريناً قوياً يساعد على النمو الداخلي: إنه ينتبه إلى الأمور التي يقوم بها بصورةٍ آلية، مثل التنفس، والرمش بعينيه، أو ملاحظة الأمور المتواجدة من حوله.

إنه يفعل ذلك عندما يشعر بأنه مشوش، وهو يحرّر نفسه، بهذه الطريقة، من كل التوترات ويسمح لبديهته بالعمل بحريةٍ أكبر، ومن دون أي تدخّل من مخاوفه ورغباته. تلقى مشكلات معينة حلاً لها، وهي التي بدت غير قابلةٍ للحل في الماضي، كما تلاشت، بطريقةٍ طبيعية، أحزان معينة كان اعتقدَ بأنه لن يشفى منها.

يستخدم المحارب هذه الطريقة عندما يواجه موقفاً صعباً.

يسمع محارب الضوء تعليقاتٍ مثل: «هناك أمور معينة أفضّل أن لا أتحدث عنها لأن الناس حسودون جداً».

يستغرق المحارب بالضحك عندما يسمع هذه التعليقات. لا يستطيع الحسد أن يؤذيك إذا لم تسمح له. إن الحسد هو جزءٌ من الحياة، وينبغي على كل شخص أن يتعلّم كيفية التعامل معه.

لا يتحدث المحارب، بالرغم من ذلك، عن خططه. يعتقد الناس أحياناً أن ذلك يعود إلى أنه يخاف من الحسد.

لكنه يعرف أنه في كل مرةٍ يتحدث فيه عن حلم، فهو يستهلك قدراً قليلاً من طاقة ذلك الحلم. يخاطر المحارب، فيما لو تحدث، بتبديد كل الطاقة التي يحتاجها كي يحقق حلمه.

يعرف محارب الضوء قوة الكلمات.

يعرف محارب الضوء قيمة المثابرة والجرأة.

ولا يندر أن يتلقى ضرباتٍ لم يتوقعها خلال المعركة. يدرك المحارب أنه من المحتم أن يربح عدوه بعض المعارك خلال الحرب. يذرف المحارب دمعاتٍ مريرة عندما يحدث هذا، ثم يرتاح كي يسترجع قدراً قليلاً من طاقاته. لكنه يستأنف معركته فوراً من أجل تحقيق أحلامه.

كلما طالت فترة ابتعاده عن ميدان معركته، زاد احتمال أن يشعر المحارب بالضعف، والخوف، والرهبة. وإذا لم يعتلِ الفارس حصانه ثانية عندما يسقط عن ظهره، وعلى الفور، فإنه لن يمتلك الجرأة، أبداً، كي يعتليه مجدداً.

يعرف المحارب المعركة التي تستأهل أن يخوضها.

إنه يستند في قراراته إلى الإلهام والإيمان. لكنه يجتمع، بالرغم من ذلك، مع أشخاص يطلبون إليه خوضَ معارك لا تخصّه، وفي ميادين لا يعرفها، أو لا تهمه. إنهم يريدون أن يشركوا محارب الضوء في منازلاتٍ مهمة بالنسبة إليهم، وليس بالنسبة إليه.

إن هؤلاء الأشخاص هم قريبون، عادةً، من محارب الضوء، وأشخاصٌ يحبونه ويثقون بقوته، ويريدون أن يخفف المحارب من أسباب قلقهم بالطريقة ذاتها.

يبتسم المحارب في أوقاتٍ كهذه، ويوضح لهم أنه يحبهم، لكنه لا يقبل هذا التحدي.

يختار محارب الضوء الحقيقي، دائماً، ميدان معركته.

يعرف محارب الضوء كيف يخسر.

إنه لا ينظر إلى الهزيمة وكأنه لا يكترث بها. ولا يقول أموراً مثل «آه، إنها لا تهمني»، أو «صدقاً، لم أكن أستحقها بهذا الحجم». إنه يتقبل الهزيمة كهزيمة ولا يحاول أن يجعل منها انتصاراً.

إن أموراً مثل الجروح المؤلمة، وعدم اكتراث الأصدقاء، والشعور بالوحدة، وهي المشاعر التي تتركها الهزيمة، وكلها تترك طعماً مراً. لكن المحارب في أوقاتٍ كهذه يقول في نفسه: «حاربتُ من أجل قضيةٍ ولم أنجح. لقد خسرت المعركة الأولى».

تعطي هذه الكلمات قوةً متجددة. إنه يعرف أن أحداً لا يربح في جميع الأوقات، ويعرف أيضاً كيفية التمييز ما بين المعارك التي نجح فيها، والمعارك التي فشل فيها.

عندما يريد شخص ما الحصول على أمرٍ ما، فإن الكون بكامله يتآمر لصالحه. يعرف محارب الضوء هذه الحقيقة.

وهذا هو السبب الذي يدفع المحارب لأن يعتني بأفكاره كثيراً. تكمن مشاعر لا يجرؤ أحد على الإعتراف بها لنفسه وراء مجموعةٍ كاملة من النوايا الحسنة: الإنتقام، تدمير الذات، الذنب، الخوف من الفوز، وحبورٌ بشع عند سماع كوارث الآخرين.

إن الكون لا يحكم علينا، لكنه يتآمر لصالح ما نريده. يفسّر هذا السبب الذي يمنح المحارب الجرأة التي يحتاجها للتأمل في الأماكن المظلمة في روحه، من أجل التأكد من عدم طلبه أموراً خاطئة.

يحرص المحارب، دوماً، على أفكاره.

يقول يسوع المسيح: «لتكن كلمة نعم التي تقولها «نعم» حقاً، ولتكن كلمة لا، «لا» حقاً». يحافظ المحارب على كلمته عندما يأخذ التزاماً ما على عاتقه.

أما أولئك الذين يقطعون وعوداً ولا ينفذونها، فإنهم يخسرون احترامهم لذواتهم، ويشعرون بالخجل من أعمالهم. يمضي هؤلاء الأشخاص حياتهم في حالة من الهروب الدائم، وهم يستهلكون، في محاولة الإتيان بسلسلةٍ من الأعذار كي يمحوا ما قالوه، طاقة أكبر مما يحتاجه محارب الضوء في الوفاء بالتزاماته.

يحدث أحياناً أن يلتزم محارب الضوء بالتزام أحمق يُحتمل أن يُلحق به الأذى. لكنه لا يكرّر غلطته. ويحترم كلمته مع ذلك، ويدفع ثمن تهوره.

يحتفل المحارب عندما يربح معركةً ما.

لأن هذا النصر كلّفه لحظاتِ قلقة، وليالي مليئة بالأرق، وأياماً لا نهاية لها من الإنتظار. كان الإحتفال بالنصر، منذ أقدم الأزمنة، جزءاً من طقوس الحياة ذاتها. إن الإحتفال هو طقس من طقوس العبور.

يلاحظ رفاق محارب الضوء مدى حبوره، ويفكرون في دخيلة أنفسهم: «لماذا يفعل ذلك؟ قد يخسر المعركة المقبلة، كما يُحتمل أن يستجلب عليه غضب العدو».

لكن المحارب يعرف السبب الذي يدفعه إلى الإحتفال. إنه يستمتع بأجمل هدية يستطيع النصر جلبها: الثقة بالنفس.

إنه يحتفل بالنصر، الذي تحقق بالأمس، من أجل اكتساب قوةِ أكبر يحتاجها كي يخوض معركة الغد.

يدرك المحارب في يومٍ ما، ومن دون سببٍ ظاهر، أنه لم يعد يشعر بالحماس ذاته الذي تعوّد عليه، والذي يدفعه إلى خوض المعارك.

إنه يستمر في القيام بالأعمال التي تعوّد عليها دائماً، لكن كل الإشارات التي يراها تبدو له بلا معنى. يمتلك المحارب خياراً واحداً في أوقاتٍ كهذه: الإستمرار في خوض الحرب النبيلة. إنه يتلو صلواته إنطلاقاً من الشعور بالواجب، أو نتيجة الخوف، أو لأي سببٍ آخر، لكنه لا يتخلى عن الطريق.

يعرف المحارب أن ملاك الواحد الذي يلهمه يهيم في مكانٍ ما. يحافظ المحارب على تركيز انتباهه على المعركة ويثابر عليها، حتى عندما يبدو كل شيء بلا معنى بالمرة. لا يلبث الملاك أن يعود بعد وقتٍ قصير، كما أن خفقة صغيرة من جناحيه تكفي لإعادة الحبور إلى نفس المحارب.

يشارك محارب الضوء ما يعرفه عن الطريق مع الآخرين.

إن أي شخص يساعد الآخرين يستحق أن يتلقى المساعدة، ويتعيّن عليه أن يعلّم الآخرين الأمور التي تعلّمها. إن هذا هو السبب الذي يدفعه إلى الجلوس قرب نيران المدفأة كي يستذكر أحداث يومه في ميدان المعركة.

يهمس أحد أصدقائه في أذنه: «لماذا تتحدث علناً عن استراتيجيتك؟ ألا تدرك أنك تخاطر، هكذا، بمشاركة معاركك مع الآخرين؟»

يكتفي المحارب بالإبتسام، ولا يقول شيئاً. يعرف أنه، في نهاية جولته، سيصل ويلاقي جنةً فارغة، ويدرك، عندها، أن كفاحه كان مجرد مضيعة للوقت.

تعلّم محارب الضوء أن الله يستخدم الوحدة كي يعلّمنا كيفية العيش مع الآخرين.

ويستخدم الغضب كي يُظهر لنا القيمة المطلقة للسلام. ويستخدم السأم كي يشدّد على أهمية المغامرة والعفوية.

يستخدم الله الصمت كي يعلّمنا استخدام الكلمات بمسؤولية. إنه يستخدم التعب كي يجعلنا نفهم قيمة الإستيقاظ، كما يستخدم المرض كي يعرّفنا على نعمة الصحة السليمة.

يستخدم الله النار كي يعلّمنا طبيعة الماء. إنه يستخدم التراب كي نتمكن من فهم طبيعة الهواء. ويستخدم الله الموت كي يُظهر لنا أهمية الحياة.

⁂

يُعطي محارب الضوء قبل أن يُسأل.

يقول بعض رفاقه عندما يلاحظون ذلك: «إذا أراد أحدهم شيئاً، فبإمكانه أن يطلبه».

لكن المحارب يعرف أن كثيرين لا يستطيعون حمل أنفسهم على طلب المساعدة. يعيش أناسٌ حول المحارب وهم يمتلكون قلوباً رقيقة، إلى درجة أن الحب عندهم يتحوّل إلى مرض. إنهم يتعطشون للحنان، لكنهم يخجلون من إظهار هذا التعطش.

يجمع المحارب هؤلاء الأشخاص حول نيران مدفأته، ويروي القصص لهم، ويقاسمهم الطعام الذي بحوزته، ويشرب معهم. يشعر الجميع بالتحسّن في اليوم التالي.

"إن أولئك الذين يتطلعون من دون اكتراث إلى تعاسة الآخرين هم أتعس الناس على الإطلاق."

إذا بقيت أوتار آلةٍ موسيقية مشدودة على الدوام، فإنها ستُخرج نغمةً شاذة.

يخسر المحاربون، الذين يمضون كل أوقاتهم في التدرب، عفويتهم في المعركة. إن الخيول التي تقفز فوق الحواجز على الدوام تنتهي بكسر إحدى سيقانها. والأقواس التي تبقى محنيةً على الدوام تفقد قدرتها على إطلاق السهام بالقوة ذاتها.

وهذا هو السبب الذي يدفع بمحارب الضوء إلى أن يحاول الاستمتاع بأمور الحياة اليومية البسيطة، حتى ولو لم يكن بالمزاج المناسب.

يصغي محارب الضوء إلى لاو تسي عندما يقول إنه يتعيّن علينا أن نتجاهل فكرة الأيام والساعات، كي نعطي انتباهاً أكبر للّحظة الراهنة.

يستطيع المحارب، وبهذه الطريقة فقط، أن يحل مشكلات محددة قبل وقوعها. وسيتمكن من تجنب حدوث مآسٍ كبيرة، لأنه ركّز على الأمور الصغيرة.

لكن التفكير بالأمور الصغيرة لا يماثل التفكير المحدود. إن الإفراط بالقلق ينتهي إلى استبعاد كل أثرٍ للبهجة من حياة الإنسان.

يعرف المحارب أن الحلم العظيم يتألف من أشياء صغيرة كثيرة، تماماً مثلما يتألف نور الشمس من مجموع ملايين الأشعة.

يأتي زمنٌ تصبح فيه طريق المحارب مجرد روتين.

يطبّق المحارب بعد ذلك تعاليم الحَبْر ناخمان برسلوف: «إذا لم تكن قادراً على التأمل، كرّر كلمةً بسيطة واحدة، لأن ذلك نافعٌ للروح. يمكنك الإكتفاء بترديد هذه الكلمة مراراً، وحتى مراتٍ لا حصر لها، ومن دون أن تقول أي شيء آخر. تخسر هذه الكلمة كل معناها في النهاية، لكنها ستأخذ أهميةً جديدة. سيفتح الله الأبواب، وستكتشف بأنك تستخدم تلك الكلمة البسيطة كي تقول كل شيء أردتَ قوله».

يستخدم المحارب هذه الوسيلة، ويحوّل العمل إلى صلاة عندما يضطر إلى القيام بالمهمة ذاتها مراتٍ عديدة.

لا يمتلك محارب الضوء أيّ «حتميات»، إنه يمتلك طريقاً يسير فيها، وهي الطريق التي يحاول أن يتبناها بحسب الظروف.

ولا يستخدم المحارب، خلال معاركه التي يخوضها في الصيف، المعدات والأدوات ذاتها التي يستخدمها في معاركه التي يخوضها في الشتاء. إنه، وبسبب مرونته، لا يحكم على العالم اعتماداً على «الصواب» و«الخطأ»، لكنه يحكم عليه على قاعدة «الموقف الذي أكثر ما يناسب تلك الحالة المحددة».

يعرف المحارب أن رفاقه مضطرون إلى التكيّف، وهو يُفاجأ إذا ما غيّروا مواقفهم. إنه يعطي كل واحدٍ منهم الوقت الضروري كي يبرّر أفعاله.

لكنه يصبح متصلباً عندما يصل الأمر إلى الخيانة.

يتحلّق المحارب حول النار مع أصدقائه.

إنهم يمضون ساعات ينتقدون بعضهم بعضاً، لكنهم ينامون في خيمة واحدة في نهاية الليل، لأنهم ينسون كل الإهانات التي تبادلوها. يحدث أحياناً أن ينضم عضو جديد إلى المجموعة. لا يُظهر هذا العضو الجديد إلا ميزاته الحسنة، لأنه لم يتشارك مع المجموعة بتاريخٍ مشترك، لكن بعض أفراد المجموعة يعتبره معلماً.

لكن محارب الضوء لا يعمد أبداً إلى مقارنته مع قدامى رفاق معركته. إنه يرحب بالغريب، لكنه لن يثق به حتى يتمكن من معرفة نقائصه أيضاً.

لا ينطلق محارب الضوء في معركته من دون أن يعرف الأمور التي تقيّد حليفه.

يعرف محارب الضوء المثل القديم: «لو كان الندم يقتل...»

ويعرف أيضاً أن الندم يقتل. إنه يقضم ثنايا روح الشخص الذي اقترف أمراً خاطئاً، وهو الأمر الذي يؤدي، في نهاية المطاف، إلى التدمير الذاتي.

لا يريد المحارب أن يموت بهذه الطريقة. وعندما يتصرف بشكل خاطئ أو خبيث، فإنه لا يخجل، أبداً، من طلب المسامحة، ذلك لأنه رجل اقترف أخطاءً عديدة.

إنه يبذل أقصى جهده، كي يصلح الخطأ الذي اقترفه، إذا أمكنه ذلك. أما إذا كان الشخص الذي اقترف الخطأ بحقه ميتاً، فإنه يقدم خدمةً إلى غريبٍ ما، ويقدّم تلك الخدمة إلى روح الرجل الذي جرحه.

لا يعاني محارب الضوء من الندم، لأن الندم يقتل. إنه يتواضع ويصلح الخطأ الذي اقترفه.

سمع محاربو الضوء أمهاتهم تقول: «لم يكن ولدي يفكر بعقلانية عندما أقدم على ذلك العمل، لكنه رجل طيّب جداً في أعماقه».

وبالرغم من أنه يحترم والدته، فإنه يعرف أن هذا ليس صحيحاً. إنه لا يضيّع وقته في إلقاء اللوم على نفسه بسبب تصرفاته المتسرعة، ولا يمضي حياته بأكملها في مسامحة نفسه عن كل الأخطاء التي اقترفها، لأن ذلك لن يعيده، أبداً، إلى الطريق الصحيح.

إنه يستخدم المنطق السليم كي يحكم، ليس على الدوافع وراء عملٍ ما، بل على عواقب هذا العمل. يتحمل المحارب مسؤولية كل الأمور التي يقوم بها، حتى ولو كان مضطراً لدفع ثمنٍ باهظ عن غلطته.

يقول مثلّ عربي قديم: «يحكم الله على شجرة بحسب ثمارها، وليس بحسب جذورها».

يسأل المحارب نفسه، قبل أن يُقدم على اتخاذ أيِّ قرارٍ مهم، مثل إعلان حربٍ، أو الإنتقال مع رفاقه إلى سهلٍ آخر، أو اختيار حقلٍ يصلح لبذر الحبوب: «كيف سيؤثر هذا القرار على الجيل الخامس من أحفادي؟»

يعرف المحارب أن كل شيء يفعله الشخص يترك عواقب دائمة، لذلك يتعيّن عليه أن يفهم نوع العالم الذي يتركه وراءه لذلك الجيل الخامس.

يقول أحدهم إلى محارب الضوء: «إنها مجرد عاصفة في فنجان».

لكنه لا يبالغ أبداً في تقدير صعوباته، ويحاول أن يبقى هادئاً.

ولا يحكم المحارب أبداً على معاناة شخصٍ آخر.

ينجح تفصيلٌ صغير، لا يؤثر عليه على الإطلاق، في إشعال عاصفة تعتمل في صدر أخيه. يحترم محارب الضوء معاناة الآخرين، لكنه لا يحاول أن يقارنها مع معاناته هو.

لا يتناول كل الناس كأس المعاناة بالحجم ذاته.

يقول غاندي: «إن أهم ميزةٍ في الطريق الروحي هي الشجاعة».

يبدو العالم مخيفاً وخطِراً بالنسبة للجبناء. إنهم يسعون وراء الأمان الزائف الذي تقدمه لهم حياة خالية من تحدياتٍ كبيرة، ويتسلحون حتى أسنانهم من أجل أن يدافعوا عما يعتقدون أنهم يمتلكونه. ينتهي الجبناء بأن يصنعوا بأيديهم قضبان سجنهم.

يصل محارب الضوء بأفكاره إلى ما وراء الأفق. يعرف المحارب أنه إذا لم يفعل أي شيء للعالم، فإن أحداً لن يفعل.

يدفعه هذا إلى خوض الحرب النبيلة، ويساعد الآخرين، حتى ولو لم يفهم السبب بالكامل.

ينتبه محارب الضوء جيداً للنص الذي نقلته روح العالم إلى شيكو خافيير:

«عندما تتمكن من التغلب على مشاكل خطيرة ترافقت مع علاقةٍ ما، لا تضيّع وقتك في تذكّر الأوقات الصعبة، بل ركّز على بهجة التمكّن من تخطي امتحان آخر من اختبارات الحياة. أما عندما تتجاوز مرحلة طويلة من العلاج الطبي، فلا تفكّر كثيراً في المعاناة التي تحمّلتها، لكن فكّر، بدلاً من ذلك، في نعمة الله التي سمحت لك أن تُشفى.

«تذكّر دائماً، ولبقية حياتك، الأمور الحسنة التي نتجت عن تلك المصاعب. تشكّل هذه المصاعب دليلاً على قدراتك، وهي التي سوف تعطيك الثقة عندما تواجهك مصاعب أخرى».

يركّز محارب الضوء على المعجزات الصغيرة التي ترافق الحياة اليومية.

إنه قادرٌ على رؤية ما هو جميل، لأنه يحمل الجمال في داخله، ولأن العالم ليس إلا مرآةً تعكس صورة وجه كل رجل. يعرف المحارب أخطاءه والحدود التي تلزمه، لكنه يفعل كل ما في وسعه كي يحافظ على مزاجه المرح في أوقات الأزمات.

إن العالم يسعى بأقصى جهدٍ له كي يساعده، وذلك بالرغم من أن كل شيء من حوله يبدو، وكأنه يوحي بالعكس.

توجد أشياء تسمى النفايات العاطفية. تنتج هذه النفايات عن عوامل في الدماغ. إنها تتألف من الألم الذي مضى منذ زمن ولم يعد نافعاً. تشتمل هذه النفايات على التحذيرات التي كانت مهمة في الماضي، لكنها لم تعد تفيد في شيء في الوقت الحاضر.

يمتلك المحارب ذكرياته أيضاً، لكنه يتعلم كيفية فصل النافع منها عن غير النافع. إنه يتخلص من نفاياته العاطفية.

يقول رفيقه: «لكن هذه الذكريات جزءٌ من تاريخي، فلماذا ينبغي عليّ أن أتخلص من المشاعر التي ميزت وجودي ذاته؟»

يبتسم المحارب، لكنه لا يحاول أن يشعر بالأمور التي لم يعد يشعر بها بالفعل. إنه يتغيّر، ويريد أن تتماشى مشاعره مع أحاسيسه التي يعيشها في حاضره.

يقول المعلّم عندما يلاحظ أن المحارب مكتئب:

«لستَ على ما تبدو عليه في لحظات الحزن هذه، لأنك أفضل من ذلك.

«غادر كثيرون هذه الدنيا ـ لأسبابٍ لن نتمكن من فهمها ـ لكنك لا تزال هنا. لماذا اختار الله كل أولئك الأشخاص الرائعين وتركك؟

«لا بد أن ملايين الأشخاص قد استسلموا في هذا الوقت. إنهم لا يغضبون، وهم لا يبكون، ولا يفعلون أي شيء. إنهم لا يفعلون شيئاً غير تمرير الوقت. فقَدَ هؤلاء قابلية التفاعل.

«أما أنت، وبالرغم من هذا، فحزين. يبرهن ذلك أن روحك ما تزال حيةً».

يحدث أحياناً، عندما يكون المحارب وسط معركة تبدو من دون نهاية، أن يمتلك فكرةً ما تمكّنه من إحراز النصر في غضون ثوانٍ قليلة.

يفكّر المحارب بعد ذلك: «لماذا أُجهد نفسي طويلاً من أجل معركة كان من الممكن أن أكسبها فيما لو بذلت نصف الطاقة التي بذلتها في سبيلها؟»

يدلنا الواقع على أن كل المشاكل تبدو بسيطة جداً بعد حلّها. إن النصر العظيم، الذي يبدو سهلاً اليوم، جاء نتيجة سلسلة من الإنتصارات الصغيرة التي بقيت من دون أن نلحظها.

يتفهم المحارب ما حدث، وينام بسهولة. إنه يمتنع عن لوم نفسه لأنه استغرق وقتاً طويلاً للوصول. إنه يشعر، وبكل بساطة، بالسرور لأنه وصل في النهاية.

يوجد نوعان من الصلاة.

يطلب المرء في النوع الأول حدوث أمورٍ معينة، ويحاول أن يُبلغ الله بما ينبغي أن يفعله. لا يعطي هذا النوع الخالق الوقت أو المجال للتحرك. يستمر الله، الذي يعرف تماماً ما هو الأفضل لكل واحدٍ منا، في عمل ما يراه مناسباً. يمتلك الشخص الذي يصلي انطباعاً، في هذه الحال، بأن صلاته لم تلقَ استجابة من الله.

أما في النوع الثاني من الصلاة فإن الشخص قد لا يفهم غايات القدير، لكنه يسمح لحياته أن تتطور بحسب خطط الخالق. إنه يطلب أن يُعفى من المعاناة، ويطلب أن يشعر بالبهجة في حربه النبيلة، لكنه لا ينسى أبداً أن يضيف: «لتكن مشيئتك».

يختار المحارب، هكذا، طريقته في الصلاة.

يعرف المحارب أن أهم الكلمات في جميع لغات العالم هي الكلمات الصغيرة.

نعم. المحبة. الله.

إنها الكلمات التي هي في غاية السهولة كي ننطق بها، لكنها تملأ مساحات هائلة من الفراغات.

لكن تبقى، مع ذلك، كلمة - كلمة صغيرةً واحدة - وهي الكلمة التي يلاقي عدد كبير من الناس صعوبة في قولها: لا.

يعتقد الشخص الذي لا يقول «لا» أبداً أنه رجل كريم، متفهم، ومهذّب، لأن كثيرين يعتبرونها سيئة، وأنانية، وغير روحية.

لا يقع محارب الضوء في هذه المصيدة، لأنه توجد أوقات يقول فيها كلمة «نعم» للآخرين، وكأنه يقول «لا» لنفسه.

وهذا هو السبب الذي يمتنع لأجله محارب الضوء عن قول كلمة «نعم» إذا كان قلبه يقول «لا».

أولاً: الله تضحية. إذا ما تعذبت في هذه الحياة، فإنك سوف تكون سعيداً في الحياة التالية.

ثانياً: إن الاشخاص المرحين هم طفوليون. حافظ على جدّيتك في كل الأوقات.

ثالثاً: يعرف الآخرون ما هو الأفضل لنا، لأنهم يمتلكون خبرةً أكثر منا.

رابعاً: يتوجب علينا أن نجعل الآخرين سعداء. ويتوجب علينا أن نرضيهم، حتى ولو كان ذلك يعني تقديم تضحياتٍ كبيرة.

خامساً: يتعيّن علينا أن لا نشرب من كأس السعادة، لأننا قد نتعود عليه في حين أنه لا يتوافر لنا على الدوام.

سادساً: يتعيّن علينا أن نتقبل كل العقوبات، لأننا مذنبون.

سابعاً: إن الخوف الذي نشعر به هو نوع من أنواع التحذير، لذلك ينبغي علينا عدم المخاطرة.

كانت هذه هي الوصايا التي لا يستطيع أي محارب ضوء أن يطيعها.

تقف جماعة كبيرة جداً من الناس، في منتصف الطريق، وهي تسد الطريق نحو الجنة.

يسأل المتشدّد الديني: «ماذا يفعل كل هؤلاء المذنبون هنا؟»

ويصيح الملتزم بالقواعد الأخلاقية: «أتريد المومس الانضمام إلى هذا الحفل؟»

أما القيّم على القيَم الأخلاقية فيصرخ: «لماذا سامحتَ الزانية على خطيئتها؟»

ويمزّق التائب ملابسه ويقول: «لماذا شفيتَ الأعمى، إذا كان كل اهتمامه ينحصر في مرضه، وعندما لم يكلّف نفسه حتى أن يقول شكراً؟»

ويعترض الزاهد: «كيف سمحتَ لتلك المرأة أن تصبّ الزيت الثمين على شعرها! لماذا لم تبعه كي تشتري طعاماً لها؟

مبتسماً، يفتح يسوع الباب، ويدخل محاربو الضوء، بالرغم من الصراخ الهستيري.

إن الخصم هو إنسان حكيم.

يستخدم الخصم، كلما استطاع، أسهل أسلحته وأكثرها فعالية: الشائعة. لا يتطلب استخدام هذا السلاح عناءً كبيراً لأن الآخرين يقومون بالمهمة نيابةً عنه. إن كلماتٍ قليلة مضلّلة تدمّر أشهراً من الإلتزام، وأعواماً من البحث عن الوئام.

يقع محارب الضوء، عادةً، ضحية هذا الخداع. إنه لا يعرف من أين تأتي الضربة، كما أنه لا يستطيع أن يبرهن أن الشائعة مغلوطة. لا تعطيه الشائعة حق الدفاع عن نفسه: إنها تُدين من دون محاكمة.

عندما يحدث هذا فإنه يتحمّل العواقب والعقوبات التي لا يستأهلها، لأنه يعرف تماماً قوة الكلمات. لكنه يعاني بصمت ولا يستخدم، أبداً، السلاح ذاته كي يردّ على خصمه.

إن محارب الضوء ليس جباناً.

يقول مثلٌ عربي: «يمكنك أن تعطي الأحمق ألف فكرة، لكنه لن يتقبل إلا فكرتك أنت».

عندما يبدأ محارب الضوء بغرس حديقته، فإنه يلاحظ وجود جاره وهو يتطلع عليه. يحب الجار إعطاء نصائحه بشأن الوقت المناسب لغرس الأفعال، والوقت اللازم لتسميد الأفكار، وريّ المعارك.

إذا أصغى المحارب لما يقوله جاره، فإنه سوف ينتهي بإنشاء كيانٍ لا يخصه، لأن الحديقة التي يعتني بها ستكون فكرة جاره.

يعرف محارب الضوء الحقيقي أن كل حديقة تمتلك ألغازها الخاصة بها، والتي لا تستطيع كشفها إلا اليد الصبورة للبستاني الذي يعتني بها. يفضّل المحارب، لهذا السبب، أن يركّز اهتمامه على الشمس، والمطر، والفصول.

يعرف المحارب أن الأحمق الذي يعطي النصائح بشأن حديقة غيره، يهمل النباتات التي تخصه.

إفتح عينيك جيداً إذا أردت أن تخوض معركة، واحرص على أن يكون إلى جانبك رفاقٌ مخلصون.

يحدث أحياناً أن يتحوّل شخص يحارب إلى جانب محارب الضوء، وبشكلٍ مفاجئ، إلى خصمٍ له.

يشعر المحارب بالحقد في البداية، لكنه يدرك بعد ذلك أنه خسر مقاتلاً أعمى أثناء المعركة.

ويحاول، لأجل ذلك، أن يرى الأمور الحسنة التي أقدم عليها حليفه السابق عندما كان يعيش معه جنباً إلى جنب. يحاول المحارب أن يفهم السبب الذي أدى إلى هذا التبدّل المفاجئ في موقفه، وأن يعرف الجروح التي تراكمت في روحه. إنه يحاول أن يكتشف السبب الذي دفع أحدهما إلى التخلي عن الحوار.

ما من إنسان طيبٍ، أو شريرٍ، بالمطلق. هذا هو ما يفكّر فيه المحارب عندما يكتشف أنه اكتسب خصماً جديداً.

يعرف المحارب أن الغايات لا تبرر الوسائل.

لأنه لا وجود للغايات، بل للوسائل فقط. تحملُ الحياة المحارب من مجهولٍ إلى مجهول. وتحمل كل لحظةٍ لغزاً محيراً معها: لا يعرف المحارب من أين أتى، ولا إلى أين يتوجه.

لكنه يوجد في هذا العالم مصادفة، وهو يبتهج بالمفاجآت، ويشعر بالإثارة عند رؤيته مناظر الطبيعة التي لم يرها من قبل. لكن لا يندر أن يشعر المحارب بالخوف، إلا أن هذا الشعور هو أمرٌ طبيعي بالنسبة إليه.

إذا فكّر المحارب بالهدف فقط، فلن يكون قادراً على الانتباه إلى الإشارات الموجودة في طريقه. أما إذا ركّز على مسألةٍ واحدةٍ فقط، فلن يلاحظ الإجابات المنتشرة من حوله.

هذا هو السبب الذي يدفع المحارب إلى التسليم.

يعرف المحارب «تأثير الشلال».

سبق له أن رأى، وأكثر من مرة، شخصاً يسيء معاملة شخصٍ آخر يفتقد الشجاعة للرد. يعمد الضحية، وبسبب الجبن الذي يسيطر عليه، إلى صبّ جام غضبه في شخصٍ آخر أضعف منه، والذي يقوم بدوره بصبّ غضبه في شخصٍ آخر. ينطلق، هكذا، سيل البؤس، لأن أحداً لا يعرف عواقب قسوته التي يمارسها على الآخرين.

وهذا هو السبب الذي يدفع المحارب إلى التأني في استخدامه للسيف، والذي يجعله لا يقبل منازلة خصمٍ جديرٍ به. يسدّد المحارب لكمةً إلى صخرة ما في لحظات غضبه، ويجرح يده نتيجة لذلك.

تُشفى يد المحارب في النهاية، لكن الولد الذي ضُرب لأن والده خسر معركة، سوف يحمل آثار هذا الضرب لما تبقى من حياته.

يعمد المحارب، عندما يصله أمر الرحيل، إلى النظر إلى أصدقائه الذين اكتسبهم أثناء الوقت الذي سار فيه على طريقه. علّم المحارب بعض هؤلاء الأصدقاء سماع أجراس معبدٍ غارق، وروى لبعضهم الآخر قصصاً أثناء جلوسه معهم حول نار مدفأته.

يعرف المحارب أن قلبه حزين، لكنه يعرف أيضاً أن سيفه مقدّس، وأن عليه أن يطيع أوامر الواحد الذي كرّس كفاحه من أجله.

يشكر المحارب بعد ذلك رفاق رحلته، ويأخذ نَفَساً عميقاً قبل أن يتابع المسير وهو محمَّلٌ بذكريات رحلةٍ لا تُنسى.

خاتمة

كان المكان غارقاً بالظلام عندما أنهت حديثها. جلس الإثنان يراقبان طلوع القمر.

قال لها: «لاحظت أن عدداً من الأمور التي أخبرتِني إياها تناقض بعضها بعضاً».

نهضتْ.

قالتْ له: «وداعاً. عرفتَ الآن أن الأجراس الغارقة في قاع البحر ليست أسطورةً فقط، وأنه لا يمكنك سماعها إلا عندما تدرك أن الريح، وطيور النورس، وأصوات أغصان النخيل، كانت كلها جزءاً من رنين الأجراس.

«وبهذه الطريقة ذاتها يعرف محارب الضوء أن كل شيء من حوله ـ إنتصاراته، وهزائمه، وحماسته، ويأسه ـ تؤلف كلها جزءاً من حربه النبيلة. يعرف أيضاً أيّ استراتيجية يحسن به استخدامها عند الضرورة. لا يحاول المحارب أن يكون متسقاً في جميع أعماله، لأنه تعلّم أن يعيش مع تناقضاته.

سألها: «من أنتِ؟»

لكن المرأة كانت قد تحركت، وسارت فوق الأمواج نحو القمر الطالع.

- Elle- افضل كاتب عالمي للعام ٢٠٠٨
- اطلاق اسم پاولو كويلو على طريق سانتياغو عام ٢٠٠٨
- امتياز شرف من مدينة أودانس
- (Hans Christian Andersen Award) (Denmark 2007)
- "Las Pergolas Prize 2006" by the Association of Mexican Booksellers (ALMAC) (Mexico 2006)
- "Cruz do Mérito do Empreendedor Juscelino Kubitschek" (Brazil 2006)
- "Wilbur Award", presented by the Religion Communicators Council (USA 2006)
- جائزة Kiklop Literary Award على رواية الزهير ضمن فئة الكتب الأكثر مبيعاً (Croatia 2006)
- Direct Group International Author Award (Germany 2005)
- "Goldene Feder Award" (Germany 2005)
- "The Budapest Prize" (Hungary 2005)
- "Order of Honor of Ukraine" (Ukraine 2004)
- جائزة "Order of St. Sophia" للمساهمة في إحياء الثقافة والعلم (Ukraine 2004)
- جائزة "Nielsen Gold Book Award" على رواية الخيميائي (UK 2004)
- جائزة "Ex Libris Award" على رواية إحدى عشرة دقيقة (Serbia 2004)
- جائزة "Golden Bestseller Prize" من صحيفة "Večernje Novosti" (Serbia 2004)
- جائزة "Best Fiction Corine International Award 2002" على رواية الخيميائي (Germany 2002)
- جائزة "Club of Budapest Planetary Arts Award 2002" تقديراً لأعماله الأدبية (Germany 2002)
- Brasilian Academy of Letters (2002)
- "Bambi 2001 Award" (Germany 2001)
- "XXIII Premio Internazionale Fregene" (Italy 2001)
- "Crystal Mirror Award" (Poland 2000)
- Rio Branco Order Brazil (2000)
- "Chevalier de l'Ordre National de la Légion d'Honneur" (France 1999)
- "Crystal Award" World Economic Forum (1999)
- "Golden Medal of Galicia" (Spain 1999)
- نهائيات جائزة "International IMPAC Literary Award" (Ireland 1997 and 2000)
- "Comendador de Ordem do Rio Branco" (Brazil 1998)
- "Golden Book" (Yugoslavia 1995, 1996, 1997, 1998,1999, 2000 and 2004)
- "Super Grinzane Cavour Book Award" (Italy 1996)
- "Flaiano International Award" (Italy 1996)
- "Knight of Arts and Letters" (France 1996)
- "Grand Prix Litteraire Elle" (France 1995)

محاربُ الضوء ليس محارباً عاديّاً بلباس عسكري وجعبة وسلاح فتّاك أو أقل فتكاً، يتوجّه إلى ساحة المعركة ويطلق بأوامر من قادته!! محارب الضوء رجلٌ مختلف متميّز يمتلك طاقة هائلة، يحمل البراءة والمحبة والبذل وروح التضحية. يقرأ ما بين السطور، يسمع أبعد من الأصوات، ويتلمّس أكثر من الأشياء الملموسة ويغدو قادراً في نهاية المطاف على اكتشاف معجزة الحياة.

لا يكون محارب الضوء فرداً أبداً، بل مجموعة محاربي ضوء، لأن الفكرة جماعية والقوّة المنبثقة عنها جماعية.

أوراق محارب الضوء، مواجهة مباشرة وعلنية مع أسرار الحياة الكامنة في أبسط الأشياء المنثورة حولنا، والتي نمرّ ولا نوليها أدنى اهتمام، ولعبة فلسفية بارعة يتقن مفاتيحها باولو كويلو، ويتقن كيف يمرّرها ويجعلنا نشغف بها، لنفهم الحياة ويجعلنا أكثر تعلّقاً بها.

ISBN 978-9953-88-236-9
9 789953 882369

الجناح، شارع زاهية سلمان،
مبنى مجموعة تحسين الخياط
ص.ب.: ٨٣٧٥ - ١١ بيروت - لبنان
تلفون: ٨٣٠٦٠٨ ٠٩٦١١ فاكس: ٨٣٠٦٠٩ ٠٩٦١١

tradebooks@all-prints.com
www.all-prints.com



شركة المطبوعات للتوزيع والنشر